جامعة الأنبار

كلية التربية الأساسية / حديثة

قسم اللغة العربية

مادة المكتبة والبحث

المرحلة الأولى

أ.د. مظهر عبد علي

أولاً : المكتبة

نشأة المكتبة :

عرف العرب الكتابة منذ أقدم الأزمنة ، وكان وادي الرافدين موطن حضارة علمية مزدهر منذ أمد بعيد ، انتشر فيه العلم ، وازدهرت الكتابة ، وعمرت بعض المكتبات ، وقد أوضحت الدراسات الاثرية الحديثة وجود مكتبة تضم حوالي (٣٠٠٠) وثيقة تتعلق بالشؤون الادارية والادبية في وادي الفرات ، ترجع الى ٢٧٠٠ – ١٩٠٠ سنة ق.م .

كما أوضحت دراسات أخرى وجود مجموعة من القوائم في مدينة الوركاء ترجع الى عهد (٣٠٠٠) سنة ق.م ، وفي نينوى وجدت مكتبات آشورية عديدة احتفظت بنصوص من الكتابة السومرية على ألواح يحمل كل لوح منها بطاقة تشبه البطاقة التي تحملها كتب المكتبات في هذه الأيام .

وبعد الإسلام كانت في بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) أول مكتبة تجمع ما يدونه كتاب الوحي من القرآن الكريم ، وبعد وفاته انتقلت هذه المدونات الى بيت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، وقد احتفظ كثير من الصحابة بكتب ومكتبات صغيرة في بيوتهم ، ففي بيت الصحابي عبد الله بن مسعود وصحف أخرى بخطه ، وكان لعبد الله بن عباس كتب كثيرة بلغت حمل بعير ، ولعبد الله بن عمرو بن العاص كتب عديدة كان يحفظها مع صحفه في صندوق له حلق ، كما احتفظ عبد الله بن الزبير بكتب كثيرة احترقت يوم الحرة ، فحزن عليها وسمع يقول : وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي .

وعندما أطل القرن الثاني الهجري كانت هناك مكتبات عديدة مزدهرة في بيوت الأفراد ، مثل ابن شهاب الزهري الذي شغلته كتبه ومكتبته عما سواها ، حتى قالت زوجته : والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر ، وأبي عمرو بن العلاء الذي كانت مكتبته تملأ بيته حتى سقفه ، وعبد الحكيم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الذي جعل من بيته مكتبة عامة يقصدها طلاب العلم والمعرفة .

واهتم في هذا القرن الحكام والمسؤولون بتأسيس المكتبات العامة ، فنشروها في شرقي البلاد وغربها ، وتباروا في الحصول على أنفس الكتب وأجودها لوضعها في تلك المكتبات ، وعملوا على تزويدها بأكفأ الرجال وشيدوا لها أبهى وأنظم وأوسع البنايات .

لقد آمن الحكام بأن تراث حماية تراث الامة ، ورصيدها العلمي المدون ، ليس من واجب أفراد الشعب حسب ، بل هو من أول واجبات الدولة الحريصة على تثبيت جذور وجودها ، وحفظ تاريخ أجيالها ، وتراث أبنائها ، لذلك نهضت الدولة العربية الاسلامية بهذه المهمة القومية المقدسة ، يعاونها في ذلك أبناؤها المخلصون ، وعلماؤها المؤمنون بأهدافها ، فأنشأت المكتبات التي تحفظ هذا التراث ، في وقت لم يكن للعلم من وسيلة سوى الكتب ، ورصدت لها الأموال الطائلة ، ودربت الرجال الاكفاء ، وفتحت أبواب المكتبات لطلاب العلم ورواد المعرفة .

لقد بدأت هذه الحركة في عهد مبكر من تاريخ الامة ، فما كادت الدولة الجديدة توطد أركانها حتى بدأ العلماء يدونون علوم الدين واللغة ، ثم توسعوا فشمل تدوينهم العلوم الاخرى ، وسنوا بعدها طريقة جديدة في ميدان العلم والمعرفة تصلهم بثقافات الامم الأخرى ، فعرفت الترجمة ، ونقلوا الى لغتهم كل ما وجدوه مفيداً لثقافتهم ، نافعاً لامتهم ، متناسباً مع مرحلة وجودهم الفكري والحضاري ، ولم ترو هذه الترجمة ظمأهم الى العلم والمعرفة ، فشخصوا بأبصارهم الى ما لدى الامم الأخرى بلغاتها المختلفة ، فجمعوه وجلبوه الى بلادهم ، فتجمعت لديهم ثروة ضخمة من التراث ، متمثلاً بأنفس الكتب وأندرها ، حتى بلغت آلاف المجلدات ، وكان لا بد لهم أن يحفظوا ذلك التراث في مكان مناسب أمين ، ولم يجدوا خيراً من المساجد ، إذ كانت رسالة المسجد غير مقصورة على العبادة فقط ، بل تتعدى ذلك الى معظم جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية ، ومن هنا الحقت بكل مسجد مكتبة يجد فيها الطالب ما يحتاجه من المصادر ، وينهل منها ما يريد من المعارف ، ثم تطورت هذه المكتبات الصغيرة حتى أصبحت ذات كيان مستقل ، اطلق على كل منها خزانة الكتب أو دار الكتب .

نشاط المكتبات :

كانت المكتبات العربية القديمة تقوم بالدور الذي تقوم به جامعات ومعاهد العلم والمكتبات المركزية الكبرى في هذه الأيام ، من حيث تيسير سبل القراءة والاطلاع ، والاعارة الداخلية والخارجية ، وكانت تخصص حجرات للمطالعة والبحث والتأليف ، وأخرى للنسخ ، وبعضها الآخر للترجمة ، والبعض منها للمناظرات والمحاورات العلمية والأدبية ، وكان القائمون عليها حريصين على توفير أحسن الظروف لمن يؤمها أو يقيم فبها ، حتى قيل أن دار الحكمة في القاهرة لم تفتح أبوابها للرواد إلا بعد أن فرشت وزخرفت ، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم رسموا بخدمتها .

وكانوا يوفرون الأجواء العلمية لجميع رواد المكتبات ، مع الحرية التامة والتسامح الكامل ، فلا أثر للتعصب الذميم أو التزمت المقيت ، وكانت خزانات الكتب موزعة على حجرات المكتبة على حسب الاختصاصات والموضوعات المختلفة ، ففي حجرة مثلاً خزانات كتب التفسير ، وفي اخرى خزانات كتب الحديث ، وفي أخرى كتب النحو ، وهكذا ، وتصف الكتب داخل كل خزانة على رفوف منسقة مرتبة .

ومن الأمور التي كانت تضطلع بها دور الحكمة والمكتبات الترجمة عن اللغات الاجنبية وأول ترجمة أشار اليها المؤرخون في الإسلام هي التي كانت على يد الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي وصفه ابن النديم بقوله : وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ، ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي ، وهو أول نق كان الى العربية .

وفي خلافة مروان بن الحكم ترجم (ماسرجويه) البصري كتاب أهرون بن أغبى في الطب ، من السريانية الى العربية وأودعه خزانة الكتب في الشام ، وفي عهد عبد الملك بن مروان تمت ترجمة الدواوين الى العربية ، بعد أن كانت بلغات البلاد المفتوحة ، في مصر باللغة القبطية ، وفي العراق

بالفارسية ، وفي الشام بالرومية ، فكانت هذه الخطوة من الأعمال الرائعة التي وطدت عروبة هذه البلدان وقومية الحكم فيها .

أما في العصر العباسي ، فقد نقل العلماء من فنون وعلوم اللغات المختلفة ما ألف مجلدات ضخمة ، فمنذ عصر أبي جعفر المنصور بدأت دار الحكمة تزخر بالمؤلفات المترجمة ، وهب رجاله يجمعون خير ما عند الامم من العلوم لنقلها الى العربية ، وقد طلب المنصور بنفسه من ملك الروم كتب الحكمة ، فبعث اليه كتاب اقليدس ، وكتباً اخرى في الطبيعة ، ومهد ابن المقفع لترجمة كثير من كتب الفرس الى العربية ، كما ترجم آخرون عن الهندية كتب النجوم والفلك ، وعن اليونانية كتب الطب ، ولم يكن الرشيد أقل عناية بالترجمة من المنصور ، وفي عهده تولى (يوحنا بن ماسويه) ترجمة الكتب التي نقلت الى بغداد من عمورية وأنقرة بعد الفتح في علوم الطب والفلسفة والفلك .

ووصلت الترجمة بدار الحكمة في عهد الخليفة المأمون أوج عصرها الذهبي ، لما عرف عنه من حب العلم وتقديس العقل والحكمة ، قال ابن صاعد الأندلسي عنه : (تمم ما بدأ به المنصور ، فأقبل على طلب العلم في مواضعه ، واستخرجه من معادنه ، بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم ، وأتحفهم بالهدايا الخطيرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ....) .

ولم تقف همة المأمون عند وصول هذه الكتب الى دار الحكمة ، بل كان ينتدب العلماء وذوي الاختصاص من رجاله ليجوبوا أرجاء الارض بحثاً عن الكتب النادرة ، والمخطوطات النفيسة والعمل على جلبها الى بغداد ، لتودع في دار الحكمة ويباشر بترجمتها ، ولم يضنّ على هؤلاء المبعوثين بالمال وبكل ما يحتاجون اليه لتحقيق مهمتهم الشريفة ، ومن هؤلاء المبعوثين يحيى المأموني ، وهو واحد من أبرز علماء بيت الحكمة وقسطا البعلبكي وحنين بن اسحق أكبر مترجمي عصره ، وقد كان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب وممن تصدر في عصره للترجمة والنقل غير حنين حبيش الأعسم وثابت بن قرة ، أجرى لكل منهما خمسمائة دينار شهرياً .

ومن الاقسام التي كانت تعمل في دور الكتب قسم خاص بالنسخ ، تخصص له حجرات معينة ، يقوم منتسبوه باستنساخ الكتب الجديدة التي تدخل الى المكتبة بالأعداد المناسبة للقراء ، ولا بد لمن يتولى هذه المهمة أن يكون ملماً بقواعد اللغة والاملاء على علم بأنواع الخطوط وأصناف الورق وألوان الحبر ، وان يتزين بقسط كبير من الثقافة العامة ، وللاستنساخ أصول متبعة وقواعد مرسومة في سعة الورقة وعدد أسطرها وكلمات كل ورقة وحجم الكتاب .

وقد عرض ابن النديم كثيراً من أنواع الخطوط التي شاهدها في بيت الحكمة في كتاب الفهرست عندما تكلم عن الامم المختلفة ، فذكر القلم الحميري والخط الحبشي وغيرهما ، ويقابل هذا القسم قسم الطبع والنشر في دور الكتب العامة الحديثة ، كما ضمت المكتبات الى جانب قسم الترجمة والنسخ قسماً آخر لصيانة وتجليد الكتب ، يقوم بحفظ الكتب من التلف ، فيجلدها ويزوقها ويزخرفها .

أما القسم الأخير فهو قسم التنظيم والخدمات الذي يترأسه الخازن وهو منصب يقابل أمين المكتبة في هذه الأيام ، وقد شغل هذا المنصب كبار العلماء والأدباء يساعدهم المناولون الذين يقدمون الخدمات المختلفة بغية ايصال الكتاب للقارئ داخل المكتبة .

أما فن الفهرسة فقد عرفه العرب في عصور متقدمة من تاريخنا ، إذ روي أن كتبهم كانت موزعة في الحجرات على حسب موضوعاتها ، ويصف ابن سينا احدى تلك المكتبات فيقول : (دخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها فوق بعض في بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد) ، ويتضح من ذلك أن مكتباتهم منظمة بطريقة تعتمد الموضوعات ذات الفهارس العامة وبجانبها كانت هناك ورقة خاصة ملصقة بكل دولاب من دواليب الكتب التي يحويها ذلك الدولاب وأرقامها فيه ، فضلاً عن عنوان الكتاب ورقمه كانت الفهارس تشمل ملاحظات عن الكتب التي فقدت بعض أوراقها أو لم توجد جميع أجزائها .

ويعد بيت الحكمة في بغداد من أقدم المكتبات العربية التي صنفت لها فهارس منظمة ، فإن الخليفة المأمون أمر بترتيبها في خزائن ، وتبويبها في فهارس ؛ تسهيلاً لمراجعتها ، أما كتاب الفهرست لابن النديم الوراق فهو من أقدم كتب الفهارس وأفضلها ، جمع فيه ابن النديم أسماء الكتب التي عرفت باللغة العربية حتى أواخر القرن الرابع الهجري ، ورتبها بحسب مواضيعها ، ثم وزعها تحت أسماء مؤلفيها ، ألفه سنة ٣٧٧هـ كما ذكر .

وقد أفاد من قوائم المؤلفات التي وضعها العلماء العرب قبله ، وخاصة في زمن المأمون ، ورتب كتابه هذا على عشرة أبواب سماها مقالات وقسم كل مقالة منها الى فصول سماها فنوناً ، قال ياقوت واصفاً اياه : (وصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه ، واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم ، وتحققه بجميع الكتب) ، وهذا الفهرست مطبوع مرات عديدة في أوربا وفي المشرق ، وأشهر طبعاته طبعة فلوغل بلبزك سنة ١٨٧٢م .

أبرز المكتبات العربية :

قال القلقشندي : إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث ، خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد ، وخزانة الخلفاء الفاطميين بمصر ، وخزانة بني أمية بالأندلس .

١- بيت الحكمة في بغداد :

يعد بيت الحكمة أعظم المكتبات العربية شأناً وأقدمها زماناً ، وأول من فكر بأنشاء هذا البيت أبو جعفر المنصور ، فقد خصص بناية مستقلة جمع فيها نفائس الكتب ونوادرها من المؤلفات العربية والمترجمة عن اللغات المختلفة ، وتوسعت خزانة هذه الكتب في عصر الرشيد فتضاعفت كتبها ، فعمل فيها مترجمون من لغات مختلفة يقومون بترجمة ما يدخل المكتبة من كتب أجنبية ونساخون يقومون بنسخ ما يترجم أو يؤلف وخطاطون ومجلدون يعنون بزخرفة وتزويق وصيانة الكتب ، ومن أبرز المشتغلين في عصر الرشيد بدار الحكمة (يوحنا بن ماسويه) الذي تدرج فيها حتى تبوأ منصب أمانة الترجمة ، ورتب له

كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه ، والفضل بن نوبخت أكبر المترجمين عن الفارسية ، وعلاّن الوراق رئيس النساخين .

وفي عهد المأمون وصلت هذه المكتبة الى أوج ازدهارها ورقيها ، فتوسع بناؤها ، وزاد في تنظيمها دقة ، وتضاعف عدد العاملين فيها من الفنيين والاداريين ، ووردت اليها أعداد هائلة من المؤلفات والمصنفات والمجلدات ، جلبت من أنحاء المعمورة كافة .

وكان من أبرز العاملين فيها في عهده سهل بن هارون ، الذي كان قيماً على بيت الحكمة والمسؤول الأول فيها ، وقد أفردت في هذه المكتبة حجرات خاصة مزودة بكل وسائل الراحة للعلماء والمؤلفين كما خصصت قاعات وخزانات لحفظ الخطوط القديمة المختلفة ، أشار الى كثير منها ابن النديم في فهرسه .

وازدهرت الترجمة في دار الحكمة خلال عهد المأمون ، ونقل الى العربية من معظم لغات الامم المتحضرة كاليونانية والسريانية والفارسية والقبطية والهندية والحبشية ، وروي ان المأمون انفق على ترجمة كتب اليونان وحدها ثلاث مائة الف دينار ، وبذل لأجل هذه المكتبة الكثير من المال والوقت بغية تسهيل سبل المطالعة والتأليف لأبناء الشعب كافة ، في وقت كانت فيه الكتب غالية الثمن ، لا يقدر على اقتنائها الا الأغنياء .

٢- خزانة الكتب في القاهرة :

اسست هذه الخزانة في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، وقد رغبه في انشائها وزيره يعقوب بن كلس ، وهو من أبرز كتّاب وأدباء عصره ، فأنشأها العزيز بالله بجوار قصره ، وأطلق عليها اسم (خزانة الكتب) ، وازدهرت حتى فاقت معظم المكتبات الإسلامية في ذلك العصر ، وعمل على ازدهارها ومضاعفة كتبها ، حتى قيل أن عدد الكتب فيها وصل الى مليون وستمائة الف كتاب ، وأكثر ما كان يسر العزيز بالله أن يرى نسخ الكتاب الواحد كثيرة في خزانة الكتب ، وقيل انها كانت تشتمل على ثلاثين نسخة عن كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي ، واحدة منها بخط مؤلفه نفسه ، ومائة نسخة من

جمهرة ابن دريد ، وعشرين نسخة من تاريخ الطبري ، وظل عدد نسخ كتاب الطبري في ازدياد حتى قيل انه وصل الى الف ومائتي نسخة عند انقراض الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ .

عرفت هذه الخزانة بحفظها أقدم المصاحف وأكثرها تزويقاً ، قال المقريزي : ان خزائن قصر الفاطميين بالقاهرة اشتملت على الفين وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة جميلة مطعمة بذهب وفضة وغير ذلك ، ووجدت فيها خريطة مصنوعة من الحرير الأزرق ، رسمت عليها صورة الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومساكنها ، وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر ، وقد كتبت معالمها المهمة بالذهب ، والأقل أهمية بالفضة ، وما تبقى منها بالحرير ، وكان من أبرز القائمين على هذه الخزانة أبو الحسن الشابشتي المتوفى سنة ٣٩٠هـ .

٣- مكتبة قرطبة :

أنشأ هذه المكتبة في الجناح الغربي من الدولة العربية الإسلامية الخليفة المستنصر بن عبد الرحمن الناصر ، وجعلها في قصر الزهراء بمدينة قرطبة عاصمة الأندلس في عصرها الذهبي ، فضمت كنوزاً نادرة من المصنفات في جميع علوم وفنون عصره ، قدرها البعض بأربعمائة ألف مجلد ، وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها .

وقدرت فهارس دواوين الشعراء فقط بأربع وأربعين كراسة ، في كل منها عشرون ورقة ، وقد وصف المقري هذه المكتبة في عصر المستنصر فقال : (وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه، وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق، وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم، وأمثال ذلك ، وجمع بداره الحذّاق في صناعة النّسخ والمهرة في الضبط

والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كلّه، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده) .

ولم تكن هذه المكتبة الوحيدة في الاندلس ، وإنما انتشرت المكتبات في معظم أرجائها ، حتى كان الرئيس من الأندلسيين الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب ، لذلك ازداد عددها حتى بلغ في غرناطة وحدها سبعين مكتبة عامة .

وبعد ذلك فقد شيد العرب والمسلمون بجانب كل مدرسة مكتبة عامرة ، أودعوا فيها أنواع المصنفات الدينية والانسانية والعلمية ، ومن اشهر خزائن كتب المدارس خزانة كتب المدرسة النظامية التي انشئت سنة ٤٥٧هـ في بغداد ، وخزانة كتب المدرسة المستنصرية التي انشئت سنة ٦٣١هـ في بغداد أيضاً ، وخزانة كتب المدرسة النورية التي انشئت سنة ٥٤٣هـ في حلب ، وخزانة كتب المدرسة الفاضلية التي انشئت في اوائل العهد الايوبي سنة ٥٨٠هـ في القاهرة ، ومكتبة المدرسة الكاملية التي انشئت سنة ٦٢٢هـ في القاهرة ، ومكتبة المدرسة الظاهرية التي انشئت سنة ٦٦٢هـ في دمشق ، وكثير غيرها في مدن العالم العربي الإسلامي .

المكتبة الحديثة :

استطاع التطور الحضاري في هذا العصر ان يجعل المكتبة أداة من أكبر الأدوات قدرة وفاعلية على تجديد طبيعة الحياة ودفعها الى الأمام ، وأصبحت الثقافة اليومية والثقافة المتخصصة معلماً بارزاً من معالم الانسان في هذا العصر ، فبعد ان تقدمت الطباعة الآلية وانتشرت في جميع أرجاء المعمورة ، نتجت عن ذلك كثرة المطبوعات ، ويسرت لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم الحصول على الكتب ، وأثارت فيهم الرغبة للتعلم واكتساب المهارات والخبرات ، ولم تعد المطبوعات احتكاراً للأقلية المتعلمة ، بل أصبحت ضرورة من ضرورات الحياة للجميع .

وقد ظهرت بوادر الاهتمام بالمكتبات بمفهومها الحديث بعد الحرب العالمية الثانية ، بعد أن أدى انتشار التعليم الى الاحساس بالحاجة الى مزيد من المكتبات سداً للحاجة الملحة الى الكتب ومواد المعرفة التي تتطلبها النهضة التعليمية والفكرية ، فأعيد تنظيم المكتبات القديمة ، وانشئت مكتبات جديدة ، كما اعدت مكتبات لتلحق بالجامعات والكليات وكثير من المدارس ، واستلزم ذلك أن تأخذ المكتبة الحديثة شكلاً متطوراً يناسب وضع القارئ والحاح الحاجة الى الكتاب ، وهذا الشكل لم يكن بدعاً في هذا العصر ، فقد عرفت العصور القديمة وضعاً مكتبياً على درجة من النضج ، تصفه المصادر المعنية بهذا الموضوع وصفاً يثير الدهشة ، ففيها اشارة الى أن مكتبة آشور بانيبال كانت تقسم اللوحات الطينية الى قسمين :

أ- لوحات تضم علوم الأرض .

ب- لوحات تضم علوم السماء .

وكانت مكتبة الاسكندرية قبل الميلاد قائمة على تنظيم علمي دقيق ، حتى عد أمينها كاليماكوس أوائل المفهرسين في العالم المكتبي ، وقد تولى عمله قرابة عام ٢٦٠ قبل الميلاد ، فوجد بين يديه مكتبة ثرية ، فيها حوالي (٥٣٢،٨٠٠) كتاب ووثيقة ، فقام بوضع فهرسة خاصة لم يعثر عليها كاملة ، وعمد الباحثون الى تفسير أجزائها حسب الكتابات التي عثروا عليها، فعرفوا منها ثلاثة أقسام على وجه التأكيد :

أ- فن الخطابة

ب- القانون

ج- متنوعات

وهناك قسمان آخران هما : التاريخ والفلسفة ، عرفا بعد ذلك ، وعلى الرغم من أن هذه الاقسام هي التي تم العثور عليها ، إلا أن معظم الثقاة يؤكدون أن هناك خمسة أخرى تضاف الى ما تقدم ، يذكرون أنها :

١- الملاحم والبطولات وغيرها من ألوان الشعر غير الدرامي

٢- الدراما

٣- الطب

٤- علوم الرياضيات

٥- العلوم الطبيعية

وقد أعطى كاليماكوس تحت التصنيف اسم المؤلف ومكان ميلاده واسم والده وأساتذته وتعليمه ولقبه وترجمة قصيرة لحياته وعناوين أعماله ومؤلفاته ، وتعليقاً حول أصالة هذه المؤلفات ، وأخيراً الكلمات الاولى من مؤلفه وعدد سطور مخطوطه ، ويتضح من هذا مقدار النضج الذي بلغه فن المكتبة في العصر القديم ، مروراً بالمكتبة العربية الإسلامية .

إذاً فالمكتبة الحديثة قد قامت على أوليات مكتبة رصينة ، فكان من شأنها أن تثري العمل المكتبي وتسمه بطابع العصر المتجدد في كافة مظاهره ، فاقتضى الأمر ان تكون لها أبنية ملائمة وموارد اقتصادية مستمرة وجهود بشرية كثيرة متكاملة ، ونظم في التصنيف والاعارة والاستشارة والمراقبة والمتابعة ، وكل ما يجعل العمل المكتبي بمستوى ما ينتظر له من التطور والمعاصرة في سبيل تقديم خدمة كاملة أو تكاد ، وما زالت الحاجة قائمة الى كثير من الجهود لجعل المكتبات العامة أداة فعالة في تثقيف الجمهور والقضاء على الامية ، باتخاذ أساليب جديدة في تنظيمها وعهدتها الى اشخاص مختصين مؤهلين علمياً ووظيفياً ، كما أن المكتبات الجامعية تحتاج الى مزيد من الدعم والفهم لمسؤوليتها في الحفاظ على التراث القومي وتنشيط البحث العلمي ، الى جانب توفير المصادر للطلبة مساعدة لهم على تنفيذ مناهجهم الدراسية المقررة .

الفهارس :

أولاً ً : أوليات التصنيف

جرت مكتبتنا العربية الحاضرة على أكثر مناهج التصنيف ملائمة ، لتشعب فنون العلم واتجاهاته ، فاتخذت النظام الذي وضعه (ملفل ديوي) وهو نظام سهل التطبيق ، يبدأ في تقسيم المعرفة بالموضوعات العامة ثم الخاصة ، فجعلها تسعة أصول رئيسة ، وأفرد أصلاً لما لا يدخل من كتب تحت هذه الأصول التسعة ، كالكتب التي يصعب تحديد الموضوع الذي يعالجه ، لمعالجتها أكثر من موضوع ، وقد شمل جميع المعارف البشرية كالموسوعات والدوريات والمقالات العامة ، ولا يمكن تصنيفها تحت موضوع معين ، فهي محتاجة الى أصل خاص يمثلها، وقد جعلها ديوي (٠٠٠) ثلاثة أصفار، وسماها: المعارف العامة ، وبذلك يصبح أصول التقسيم عشرة ، تصنف الكتب بموجبها ، ويرمز لكل منها برقم خاص يدل عليه ، وعلى المصنف أن يكون على معرفة بهذه الأصول العشرة للمعرفة وما يمثلها من أرقام ومواضيع :

٠٠٠ المؤلفات العامة

١٠٠ الفلسفة

٢٠٠ الديانات

٣٠٠ العلوم الاجتماعية

٤٠٠ اللغات

٥٠٠ العلوم البحتة

٦٠٠ العلوم التطبيقية

٧٠٠ الفنون

٨٠٠ الآداب

٩٠٠ التاريخ والجغرافية والتراجم

وكل رتبة من الرتب الرئيسة تتفرع الى عشرة أقسام أخرى ، ونظراً الى التطور الحاصل في هياكل تقسيم المعرفة الانسانية ، وتصنيف مفردات العلوم تصنيفاً حديثاً يصل الى حد بعيد من تقدير الموضوعية والاختصاص ، فقد أصبحت هذه التقسيمات أصولاً ينطلق منها العمل المكتبي الى فروع ومذاهب في التصنيف العلمي ، ينقسم الواحد منها عشرة أقسام ، وعشرة أقسام أخرى .

المواد المكتبية :

يعد الكتاب المادة المكتبية الأولى ، وقد ضمت المكتبة اليه مواداً أخرى جديرة بالحفظ والمتابعة والاحتياز ، اهتدى المكتبيون الى قيمتها بعد التطورات العلمية التي واكبت التطور الحضاري الدائم ، ومن هذه المواد المكتبية الأنواع الآتية :

١- الدوريات : وهي الصحف والمجلات على اختلاف أنواعها ولغاتها واتجاهاتها العلمية والفنية وجهات اصدارها ونوع صدورها يومياً أو اسبوعياً أو شهرياً أو فصلياً الى آخر ذلك .

٢- المخطوطات : القديمة على اختلاف تواريخها وعلومها ولغاتها ، تحفظ بطرق خاصة وتصان وتفهرس وتوصف ، وتقرّب الى القارئ على وجه يحفظها من التلف ، ويسهل عليه طرق الاستفادة منها .

٣- الاطروحات : بنوعيها الانساني والعلمي ، وهي الكتب التي يتقدم بها المؤلفون للحصول على الدرجات العلمية العليا كالماجستير والدكتوراه .

٤- الأفلام الوثائقية والعلمية : التي يستعان بها أحياناً في التدريس وتقريب المعارف ، وبعض المكتبات المتقدمة تعنى بإنشاء قاعة لعرض هذه الأفلام .

٥- المايكروفلم : أو الرقيقة البلاستيكية التي تصور عليها المكتوبات وغيرها على شكل شريط يقرأ بجهاز خاص .

٦- المايكروفيش : وهو رقيقة بلاستيكية أيضاً ، على شكل صفحة كبيرة تصور عليها المكتوبات وغيرها مقسمة الى صفحات بعدد صفحات الأصل المصور ، وتقرأ بجهاز خاص يختلف عن جهاز قراءة

الميكروفلم ، وهذا النوع من التصوير يساعد على حفظ أكبر عدد من الصفحات المكتوبة في صفحة واحدة سهلة الحفظ والاستعمال .

٧- الاسطوانات : التي تسجل عليها المعارف العلمية ، يستعان بها في التدريس بالدرجة الاولى ، وربما كان منها ما يسجل عليه غير ذلك .

كل هذه المواد محفوظة في المكتبة الحديثة أو داخلة في اهتمامها الى جانب الكتاب ، ويبقى الكتاب محتفظاً بقيمته نظراً الى سعة شيوعه وسهولة الحصول عليه ويسر حفظه وتلبيته لحاجة أكبر مجموعة من القراء الى اشياء أخرى يقدرها حق قدرها من تعلق بالكتاب قراءة وامتلاكاً ومتابعة .

كيفية الحصول على الكتاب من المكتبة :

يترتب على مراجع المكتبة أن يكون على علم كاف بأوليات التصنيف الذي تم وصفه ، لكي يستطيع الوصول الى الكتاب المقصود بيسر وسهولة ، والمكتبة بحاجة الى دليل شامل يرشده الى غايته دون عناء ، وقد اعتادت المكتبات الحديثة وصف كل كتاب يدخلها وصفاً يميزه عن غيره ، بحيث يستطيع طالبه أن يعرف عنوانه واسم مؤلفه وناشره وتاريخ نشره ، وما ينضم عليه من خرائط ورسوم توضيحية فضلاً عن عدد أجزائه وصفحاته ورقم تصنيفه في سبيل الاهتداء الى موضعه على الرف ، تدرج هذه المعلومات كلها على بطاقات مستطيلة الشكل تتخذ من الورق المطاوع لكثرة الاستعمال ، وتحفظ هذه البطاقات داخل صناديق خاصة وفق حروف المعجم .

ويحتوي الفهرست على عدة أنواع من البطاقات للكتاب الواحد ، يختلف بعضها عن بعض باختلاف المعلومات في السطر الأول من أعلى البطاقة .

- بطاقة باسم مؤلف الكتاب
- بطاقة بعنوان الكتاب
- بطاقة بموضوع الكتاب .

وقد توجد بطاقة اخرى يكون المدخل في سطرها الأول اسم محقق الكتاب أو المترجم أو المؤلف المشارك ، أو عنوان السلسلة التي نشر الكتاب ضمنها ، ويراعى في طبع هذه البطاقات بالمعلومات المذكورة أن تكون جارية على نظام عام موحد في ترتيب محتوياتها .

مصادر التراث العربي

قيمة التراث العربي :

جرت الحياة على أن يترك السلف للخلف من نفسه وعلمه وماله ما ينشأ اللاحق على احترامه واكباره ، ويكون هذا الارث حلقة لا تفتأ تشد الناس بعرى تاريخية لا تنفصم ، ويحوط الخلف ما يقع اليهم من اسلافهم بعناية فائقة .

ان التراث العربي ليس شعراً أو أدباً ، بل انه ارث تاريخي وحضاري متعدد الاتجاهات متلون الضروب ، يجاوز الأدب الى العلم والفن والفلسفة والأخلاق والفقه والتاريخ واللغة وكل ما يمكن أن يكون وجهاً من وجوه الحركة الاجتماعية والفكرية القديمة ، وفي دراسته تتوازن كل هذه المنابع ، ويرفد بعضها بعضاً في اعطاء صورة للماضي بكل مظاهر ثرائه الفكري ، يشترك في ذلك جهد الشاعر والكاتب والطبيب والمهندس والرياضي والفيلسوف والمتصوف والمؤرخ واللغوي ، وقد أصبح الحديث عن هذا التراث جزءاً من الحديث عن تاريخ الامة ؛ لأنه رصيدها الباقي وحضارتها الممتدة وذخيرتها التي تستمد منها كل بارقة ، وخزانتها التي تحتفظ بكل صورها في مجال الثقافة والفكر ، وتكوين وجودها ، لما يتصف به هذا التراث من صلة وثيقة بكل ما جادت به عقول هذه الامة .

يدرس التراث لاستيعاب الماضي واستشفاف الاحداث وانتزاع التجارب واستخلاص الصورة الوضاءة البارقة المشرقة ، والعمل الذي يوحد الامة ويشد عناصر وجودها ، ويدرس أيضاً لإبراز قدرتها على الحياة وإعطائها مكانتها اللائقة بين الامم الحاضرة ، ودعوة ابنائها الى أن يكونوا غرساً طيباً لإنبات الفكر الخير والعمل المثمر ، ويدرس لاستخلاص النموذج الحي للشخصية العربية الخلاقة القادرة على تقديم كل ما

يعود عليها وعلى العالم بالسعادة ، وإحياؤه صدوراً عن تقويم جديد لمادته ، يعني في حقيقة الأمر خدمته خدمة عصرية ، لا تقف عند حدود تنازل هذا المخطوط أو ذاك من خزانته العتيقة ، والعمل على اصلاحه للمطبعة كما قد يظن ، بل ان خدمته تتوزع في اتجاهات مختلفة ، متعددة يمكن الاشارة منها الى الوجوه الآتية :

١- التعريف بالمخطوطات العربية .

٢- التعريف بخزائن الكتب الحافلة بالآثار الخطية العربية .

٣- الفهرسة والبليوغرافيا الخاصة بالتراث .

٤- البحث عن أعلام الوراقين والنساخ وأنواع الحبر والكاغد والأقلام وكل ما له علاقة بمادة الكتاب المخطوط .

٥- محاولة البحث عن قرائن تعين على معرفة مؤلفي الكتب المجهولة النسبة .

٦- محاولة الكشف عن اعمار المخطوطات ، وترميمها وأنواع خطوطها وتجليدها وتذهيبها وتصاويرها .

٧- القيام قبل هذا كله بحفظها على رقوق مصورة بطريقة الميكروفلم حفاظاً على اصولها من الضياع أو التلف .

٨- نقد ما تصدره المطبعة من كتب قديمة محققاً وغير محقق .

٩- رصد النصوص العربية الباقية على بعض المعالم الحضارية .

التأليف اللغوي في مراحله الأولى

كتاب معاني القرآن :

كانت بداية التأليف اللغوي مختلطة بين اللغة والنحو والصرف وبقية علوم اللغة ، وجميع هذه المؤلفات إنما وضعت لبيان معاني القرآن الكريم ، والتوصل الى حل المشكلات اللغوية والنحوية والصرفية التي قد تعترض من يريد معرفة معانيه ، وفهم ألفاظه وتراكيبه ، وكان هذا التأليف قائماً على الاختيار

والانتخاب للآيات ، وعلى الأخذ بطرف من التفسير وآخر من اللغة وما يتعلق بها ، وقد عرفت المكتبة العربية القديمة خلال القرون الأولى عدداً كبيراً من المؤلفات في هذا الموضوع منها الكتاب الأول في غريب القرآن الذي عزي الى الصحابي عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) ، كانت منه نسخة في برلين قبل الحرب العالمية الثانية .

وتوالى بعده المؤلفون بالكتابة في هذا الموضوع مثل أبان البكري (ت١٤١هـ) ومؤرج السدوسي (ت١٧٤هـ) والنضر بن شميل (ت٢٠٣هـ) وابي عبيدة (ت٢١٠هـ) والأصمعي (ت٢١٣هـ) وابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) وغيرهم ، ولم يصل الينا من هذه المؤلفات إلا النزر اليسير ، ومن أبرز هذه المؤلفات هي :

١- معاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ) :

طبع بثلاثة أجزاء محققة في مصر بين ١٩٥٥ – ١٩٧٣ ، عالج هذا الكتاب آيات منتخبة من القرآن ، رأى فيها المصنف مشكلاً يستحق الوقوف عليه ، وترك الآيات التي لم ير فيها ذلك ، وسار في هذه الآيات على وفق ترتيب السور القرآني ، ملتزماً بتسلسلها في السورة الواحدة أيضاً .

٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) :

طبع في جزئين بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين في مصر سنة ١٩٥٤ ، وحكى ياقوت الحموي عن أبي عبيدة يصف مجلس الفضل بن الربيع حين قدم عليه الى بغداد سنة ١٨٨هـ قال : (ثم دخل رجل في زي الكتّاب له هيئة فأجلسه الى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا أبو عبيدة علّامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا وقال لي: إني كنت إليه مشتاقا، وقد سألت عن مسألة افتأذن لي أن أعرّفك إياها؟ فقلت: هات، قال قال الله عز وجل: طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ وإنما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرىء القيس: أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومستنة زرق كأنياب أغوال .

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج اليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته «المجاز» وسألت عن الرجل السائل فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه، وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب) .

ويبدو أنه أحس من سؤال هذا الكاتب عاقبة الجهل بطريقة العرب في القول وان الشبه التي يوجهها المغرضون الى القرآن الكريم ، أما تأتي عن طريق النظر في العبارات القرآنية التي يظن فيها الغرابة والارتفاع عن المستوى اللغوي العام ، فوضع هذا الكتاب الذي يشبه الكتاب السابق في غرضه ، فقد ألفه أبو عبيدة لإزالة الابهام عن بعض الآيات القرآنية التي وجد فيها مشكلاً ، ويشبهه في منهجه وطريقته أيضاً ، ولكنه يختلف عنه في أنه أكثر اختصاراً في الشرح والتحليل ، وانه ضم مقدمة نفيسة تحدث فيها عن مصطلحات القرآن والسورة والآية بالتفصيل كما تحدث عن الظواهر اللغوية العامة في القرآن .

٣- تأويل مشكل القرآن – وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) :

كلاهما مطبوع في القاهرة بتحقيق السيد احمد صقر في سنة ١٩٥٤ والثاني في سنة ١٩٥٨ ، أما تأويل مشكل القرآن فقد ذكر ابن قتيبة سبب تأليفه ، فذكر أنه رد به على الملحدين الذين اعترضوا كتاب الله بالطعن والتحريف واللغو ، واتمام منهجه على البحث في بيان ما خص الله به العرب من الفصاحة والبلاغة وما ادخر القرآن الكريم من صنوف تلك البلاغة وضروب البيان .

أما غريب القرآن فيقوم منهجه على التفسير والتوضيح أيضاً ، وقد قسمه مصنفه الى ثلاثة أقسام :

الأول : في تأويل اسماء الله الحسنى وصفاته ، واشتقاقهما .

الثاني : في تفسير المفردات التي تكررت كثيراً في القرآن .

الثالث : في تفسير الغريب .

كتب غريب الحديث :

كما حاول العلماء الأوائل احصاء جميع الكلمات الغريبة في القرآن الكريم ، فقد أولوا الحديث النبوي هذا الاهتمام أيضاً ، فحاولوا استقصاء الالفاظ الغريبة فيه ، ولكن تدوين ذلك كان متأخراً عن تدوين غريب القرآن ، وأول من عرف بالتأليف في هذا العلم النضر بن شميل (ت٢٠٣هـ) ثم أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) وتوالى بعدهما المؤلفون الاصمعي (ت٢١٣هـ) وابو زيد الانصاري (ت٢١٥هـ) وابن الاعرابي (ت٢٣١هـ) ومحمد بن حبيب (ت٣٤٥هـ) وغيرهم ، وفقد معظم هذه المؤلفات ، ومنها :

١- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) :

وهو مطبوع في حيدر آباد بتحقيق الدكتور عبد المعين خان في أربعة أجزاء ما بين سنة ١٩٦٤ – ١٩٦٧ ، أورد فيه المؤلف أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم أحاديث الصحابة والتابعين التي تضمنت ألفاظاً غريبة ، ليفصل القول في تلك الألفاظ ويوضحها .

قال الخطابي : بلغني أن أبا عبيد مكث في كتابه أربعين سنة ، يسأل العلماء عما أودعه من تفسير الحديث والاثر ، وأورد الاحاديث في كل مسند بدون أي ترتيب .

٢- غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) :

طبع في بغداد بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري في سنة ١٩٧٧ ، ويعد هذا الكتاب متمماً لغريب أبي عبيد ، سائراً على منهجه واسلوبه في الانتقاء والنسق ، وقد أشار ابن قتيبة الى ذلك في مقدمة كتابه حيث قال: (وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث وأن الناظر فيه مستغن به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما تركه نحوا مما ذكر أو أكثر منه فتتبعت ما أغفل وفسرته على نحو مما فسر بالإسناد لما عرفت إسناده والقطع لما لم أعرفه وأشبعت ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر وكرهت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها وأحاديث السلف وألفاظهم ما يشاكل الحديث أو يوافق لفظه لفظة لتكثر فائدة الكتاب ويمتع قارئه ويكون عوناً على معرفته وتحفظه ولم أعرض لشيء مما ذكره أبو عبيد إلا أحاديث وقع فيها ذلك

فنبهت عليه ودللت على الصواب فيه وأفردت لها كتاباً يدعى كتاب إصلاح الغلط وإلا حروفاً تعرض في باب ولا يعمل ذلك الباب إلا بذكرها فذكرتها بزيادة في التفسير والفائدة) .

كتب غريب اللغة ونوادرها :

كما ألف العلماء الأوائل في غريب القرآن وغريب الحديث ، فإنهم حاولوا جمع الغريب في غير هذين البابين ، مما نطقت به العرب في أقوالها وأشعارها وصنفوا في ذلك كتباً ورسائل كثيرة ، بعنوان تفسير الغريب ولكن لم يصل الينا أي واحد منها .

أما النوادر فهي كتب اختلطت فيها علوم اللغة فيما بينها ، وألف فيها كثير من العلماء خلال القرنين الثاني والثالث ، وأول من ألف فيها أبو عمرو بن العلاء(ت١٥٧هـ) ثم تتابع التأليف ، فظهرت نوادر القاسم بن معن (ت١٧٥هـ) ويونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) والكسائي (ت١٩٨هـ) واليزيدي (ت٢٠٢هـ) وقطرب (ت٢٠٦هـ) وغيرهم .

وصلت الينا بعض هذه النوادر كنوادر أبي زيد الانصاري (ت٢١٥هـ) مطبوعة يقوم منهجها على ايراد النادر من الالفاظ والعبارات ، وهي لغة الاعراب ولهجاتهم ويفسر ذلك ، مورداً كثيراً من شواهد أشعار وأرجاز العرب ، ونوادر ابن الاعرابي (ت٢٣١هـ) وصلت الينا بعض منه ولم يصل كاملاً ، حققه السيد كامل سعيد وأضاف اليه نصوصاً جديدة جمعها من المصادر المختلفة ونوادر أبي مسحل الاعرابي (المتوفى أوائل القرن الثالث) طبع في دمشق بتحقيق الدكتور عزة حسن سنة ١٩٦١ وهو يشبه بقية النوادر في عدم التزام منهج معين غير ايراد النادر والشاذ من الألفاظ ثم شرحها مستشهداً بالفصيح من النصوص .

كتب الفصيح :

اضطلع جماعة من اللغويين بتأليف كتب خاصة بالفصيح ، تجمعه وتفرزه عن الضعيف والمغلوط والملحون ، يدفعها القصد الشريف في الحفاظ على العربية مشرقة ناصعة بعيدة عن العيوب ، وفي طليعة هذا النوع من التأليف كتابان :

١- اصلاح المنطق لابن السكيت (ت٢٤٤هـ) :

وضعه مؤلفه لتقويم اللسان واصلاح الغلط في المنطق ، وهو مطبوع في القاهرة بتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون أكثر من مرة ، صدرت الأولى سنة ١٩٤٩ .

٢- الفصيح لأبي العباس ثعلب (ت٢٩١هـ) :

مؤلفه امام الكوفيين في اللغة والأدب ، اختار فيه جملة من الكلام الفصيح ، ليطلع عليها الناس ويحفظوها ، فتفصح ألسنتهم وتنجو من اللحن ، طبع مستقلاً في ليبزج سنة ١٨٧٦ بعناية المستشرق الالماني جاكوب بارت ، وكان هذا المتن قد أثار حركة تأليف لغوية كبيرة ، تناولته بالشرح والتذييل والنقد والاستدراك ، ومن شروحه المطبوعة شرح أبي سهل محمد بن علي الهروي (ت٤٣٣هـ) ، نشره محمد بدر الدين الغساني أولاً ، وأعاد نشره محمد عبد المنعم الخفاجي في القاهرة سنة ١٩٤٩ مع ذيله لموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت٦٢٩هـ) ، ونشر الدكتور عبد الله الجبوري في بغداد قسماً من شرح أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت٣٤٧هـ) بعنوان : تصحيح الفصيح ، ومن شروحه المعدة للنشر : شرح أبي منصور محمد بن علي الجبان الاصفهاني (ت٤١٦هـ) بتحقيق عبد الجبار جعفر القزاز ، وشرح أبي القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادي (ت٤٨٥هـ) بتحقيق عبد الوهاب محمد علي العدواني .

كتب اللحن :

عندما انتشر العرب في أرجاء العالم ، واختلطوا بغيرهم من شعوب الأمصار الإسلامية المختلفة ، بدأ اللحن يدب في تراكيبهم ، ويدخل في كثير من أساليبهم وتنبه العلماء المخلصون الى خطر ذلك على

اللسان العربي ، فحاولوا رصد تلك الأخطاء ، أو عدوا من يقع فيها من العامة ، ليبتعد عنها الخاصة من الأدباء والمثقفين ، ووضعوا كتباً اطلقوا على كثير منها اسم (لحن العامة أو العوام) مشيرين الى اللحن ووجه الصواب فيه .

وأول من كتب في هذا الفن الكسائي (ت١٨٩هـ) حيث وضع كتاباً سماه (لحن العامة) ، وهو مطبوع في مصر بتحقيق عبد العزيز الميمني سنة (١٣٤٤هـ) ، ثم توسع التأليف في هذا الموضوع بعد رسالة الكسائي وكثرت فيه المصنفات صغيرة وكبيرة ، وقد تتبع الدكتور رمضان عبد التواب ما ألف فيه على تعاقب القرون ، فوصفه في دراسته (لحن العامة والتطور اللغوي) وصفاً جيداً يلقي الضوء على هذا المنحى في التأليف اللغوي ، وثمة دراسة اخرى قام بها الدكتور عبد العزيز مطر ، ونشرها بعنوان (لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة) ، بعد قيامه بتحقيق ثلاثة كتب معروفة في هذا الميدان : تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي ، وتقويم اللسان لابن الجوزي ، ولحن العوام لابي بكر الزبيدي ، وكان الدكتور رمضان عبد التواب قد نشر الكتاب الثالث محققاً في مصر .

كتب الأصوات :

عني أوائل علماء العرب بظاهرة الأصوات في اللغة ، وفصلوا القول في كثير من الحروف المتعلقة بالأصوات ، لضبط النطق بها ، وربما جاء اهتمامهم في ذلك ليتقنوا قراءة القرآن ، ويعد عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ) أول من كتب في ذلك كتاباً في الهمز ، وتوالى بعده العلماء في التأليف به ، ووصل الينا من هذه المؤلفات (كتاب الهمز) لابي زيد الانصاري وهو مطبوع في بيروت بتحقيق لويس شيخو سنة (١٩١٠) .

كتب الموضوعات :

لم يغفل المؤلفون العرب الأوائل كثيراً من الموضوعات التي يمكن أن تختص بتصنيف مستقل في اللغة ، يكون ذا منهج قائم على الوحدة الموضوعية ، فكتبوا في الانسان وأدواته ، وفي طليعة مصنفاته في ذلك كتب خلق الانسان والدارات ، والاجية ، والأثواب ، والسلاح .

وكتبوا في الطبيعة وآفاقها ، فتناولت مؤلفاتهم الحديث عن الجبال والمياه والرياح والزرع ، والحيوان وأصنافه العديدة كالحشرات والطيور والأبل والشاء والغنم والخيل والوحوش ، وقد وصلت الينا رسائل خاصة عن كل موضوع من هذه الأصناف .

المعجمات العربية :

كان المعجم أحد الجهود الكبيرة التي اضطلع علماء هذه اللغة بإرساء قواعدها الفنية وفق مناهج مختلفة ، والمعجم هو اللفظ الذي اطلقه الدارسون على نمط معين من الكتب ، ومادة (عجم) في اللغة العربية تفيد معنى الابهام والغموض ، والاعجم هو الذي لا يفصح ولا يبين كلامه ، وبلاد العجم سماها العرب بذلك ؛ لأن لغتها غير واضحة ولا مفهومة عندهم .

فالمعجم كتاب من شأنه أن يزيل غموضاً ويفتح مغلقاً ، وارتبط ذلك ارتباطاً عرفياً بغموض اللغة ومغاليقها ، ولكنه كتاب لغوي يصنف لغرض مركب وفق شروط ومقتضى وظائف ، عني اللغويون برسمها وتقديرها ، وشروط المعجم هي : الشمول والترتيب ، ووظائفه ، شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها وبيان كيفية نطقها مضبوطة بالشكل في معاجماتنا العربية أو موصوفة .

وقد درج بناة المعجم العربي من لدن أول لبنة في كيان هذا العمل حتى آخر الجهود المعجمية التي يقوم بها رجالنا ومجامعنا اللغوية الحديثة على مناهج مختلفة من التصنيف ، تمثل في مجملها تطور النظر اللغوي عند اولئك المؤلفين الذين شاركوا في حفظ اصول اللغة العربية ، وقد تباين طرق المعجمين في تأليف كتبهم ، ومن أبرز هذه الطرق :

- طريقة تقليب مواضع الحروف :

تقوم هذه الطريقة على نظام التقليب في المعجم العربي وانه أول الانظمة التي قام عليها بناء هذا المعجم ، ومن هذا النوع من المعاجم :

١- كتاب العين :

لمؤلفه أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المتوفى سنة (١٧٠هـ) ، وهو عربي الأصل من أزْد عُمان، لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض .

نشأ الخليل بن أحمد بالبصرة وتربّى فيها، وكان مولعا بالدرس والبحث. وقد لازم حلقات أستاذيه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وأمّا أستاذه عيسى بن عمر فقد كان إماماً في العربية والقراءات، وصنف كتابي الجامع والإكمال، وأبو عمرو بن العلاء كان أستاذاً للعربية وإماماً في دراستها، وقد روى الخليل عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما وأخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضّر بن شُمَيْل، قال ابن المعتز: «كان الخليل منقطعًا إلى الليث فيما صنفه». وهو أستاذ سيبويه. والحكايات والمرويات المذكورة في كتاب سيبويه كلها مروية عن الخليل وكلما قال سيبويه ، وسألته، أو ,قال. من غير أن يذكر قائله فهو يعني الخليل .

وقد وهب الله الخليل بن أحمد ذكاءً خارقًا وفطنة كانت مضربًا للمثل في عصره ، وجمع إلى ذلك تقوى وزهداً وورعًا وهمّة عالية ، وقد فُتحت له مغاليق أبواب العلوم ، فهو عالم اللغة والنحو والعروض والموسيقى وكان شاعرًا .

فتحت معرفته بالإيقاع والنظم له بابًا لابتكار علم العروض، فقد نظر في شعر العرب وأحاط بإيقاعاته ، ودفعه حسّه المرهف وتذوقه للإيقاع لاستخراج علم العروض، حيث اهتدى إلى أوزان الأشعار وبحورها وقوافيها، وأسدى بمجهوده هذا خدمة جليلة عظيمة للشعر العربي لم يسبقه إليها سابق، وجاراه فيها من أتى بعده ، وظلت تُنسب إليه إلى اليوم .

وللخليل من التصانيف: كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ النقط والشّكل؛ كتاب الإيقاع .

وكتاب العين أشهر أولى معاجم اللغة العربية. واختلاف العلماء في صحة نسبته إلى الخليل ، وهو مرتب حسب مخارج الحروف، سوى حروف العلة التي اشترط تأخيرها وعد منها الهمزة. وهذه صورة ترتيب حروفه: (ع، ح، هـ، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ي، ا.) وتتبع فيه أبنية كلام العرب، وحصرها بين الثنائي والخماسي، وفصل الألفاظ المعتلة، جاعلاً الهمزة من حروف العلة، مفرداً لها باباً بعد أبواب الثلاثي، ذكر فيه الثنائي المضاعف المعتل والثلاثي المعتل بحرف، والثلاثي اللفيف، وفرّق الأبنية على كل باب، مبتدئاً بالثنائي المضاعف، فالمضاعف الثلاثي الصحيح، فالمضاعف الثلاثي اللفيف، فالرباعي والخماسي، وجعل الأخيرين في باب واحد لقلة الألفاظ التي وردت منهما. وأشار للمستعمل والمهمل في أبنية الثنائي والثلاثي، أما الرباعي والخماسي فأغفل الإشارة إلى المهمل منهما، لأنه فوق الحصر.

وابتكر منهاجاً غريباً عسيراً يشتت الباحث، ويباعد بينه وبين بغيته، ذلك أنه يذكر الكلمة ويقلبها إلى كل وجه، بحيث يتألف من مقلوباتها كلمات، ويذكرها جميعاً في موضع واحد، ثم ينبه إلى ما لم يستعمله العرب منها، فإذا جاء إلى موضع ذكر هذه الكلمات أهمل ذكرها، ولم ينبه إلى موضع الباب الذي ذكرها فيه. مثال ذلك: (الضرم) استخرج من متقلبات حروفها: (ضمر، مرض، مضر، رضم، رمض) فإذا فتحت باب الراء والميم، لم تجد (الرضم والرمض والمرض والمضر) لأنه ذكرها في كتاب الضاد ، وزاد على هذا أنه يذكر كل نوع من الصحيح والمضاعف والمهموز والمعتل على حدة، ليميز كل نوع من غيره. وثمة هنات أخذها عليه العلماء، لا تتصل بالمنهج وأصوله وقواعده، بل تتصل ببعض المواد التي جاءت في كتابه، مثل تفرده بذكر كلمات كثيرة لم يُسمع بعضها، وإهماله أبنية مستعملة، وعدم استيفائه الصيغ الواردة في كلام العرب، ووجود أخطاء صرفية وتصحيف وتحريف ، وفي (المواعظ والاعتبار) للمقريزي

قوله: (ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد..الخ) . طبع الكتاب مرات، أهمها: طبعة بغداد ١٩٨٥م بتحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

اهتم الخليل بأصوات العربية فذكر أنها (٢٩) صوتاً مرتبة وفق نظام خاص بالنسبة الى مخارجها في الفم ابتداءً بأقصى الحلق وانتهاءً بالشفتين ، فبدأ بحروف الحلق فاللسان فالاسنان فالشفتين ، وجعل حروف العلة في آخر الترتيب ، لأنها حروف هوائية لا تستند على شيئ من أعضاء الفم عند التصويت بها ، ومن هنا استطاع علماء العربية والقراءة تحديد مخارج الأصوات ، واختلفوا في عددها ، فمنهم من ذكر أنها ستة عشر مخرجاً ، ومنهم من ذكر أنها سبعة عشر مخرجاً ، أما نظام التقليب فقد انتهجه الخليل ليضمن له الاحاطة بالمتن اللغوي .

ويمكن ان يلخص منهج الخليل في العين ببنود ثلاثة هي :

أ- الترتيب الصوتي لحروف العربية .

ب- اعتماد الحروف الاصلية في الكلمة عند ارادة وضعها في الكتاب واغفال الحروف الزوائد .

ج- مراعاة مبدأ الكمية في تسجيل المواد داخل الحرف الواحد .

٢- جمهرة اللغة :

لأبي محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ابن دريد المتوفى سنة (٣٢١هـ) ، من أزد عمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والأدب ، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء .

وهو صاحب (المقصورة الدريدية) ، ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاما، وعاد إلى البصرة ، ثم رحل إلى نواحي فارس، فقلده (آل ميكال) ديوان فارس، ومدحهم بقصيدته (المقصورة) ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارا، فأقام إلى أن توفي .

ومن كتبه (الاشتقاق) في الأنساب، منه مخطوطة نفيسة في الخزانة العامة بالرباط، بخط ابن مكتوم القيسي، و(المقصور والممدود) و(شرحه) و(الجمهرة) في اللغة، ثلاثة مجلدات، أضاف إليها المستشرق كرنكو مجلدا رابعا للفهارس، و(ذخائر الحكمة) رسالة، و(المجتنى) و(صفة السرج واللجام) و(الملاحن) و(السحاب والغيث) و(تقويم اللسان) و(أدب الكاتب) و(الأمالي) السابع منه، رأيته في خزانة الرباط، وهو صغير، كتب في دمشق سنة ٦٤١ بخط (علي بن أبي طالب الحسيني) و(الوشاح) و(زوار العرب) و(اللغات) .

معجم ابن دريد ، إمام أهل البصرة في اللغة. وكان في مقدمة الكتب التي بنى الأزهري كتابه (تهذيب اللغة) للرد عليها. وقد رتبه على حروف المعجم مبتدئاً بالثنائي الصحيح، ناهجاً منهاج الخليل في تقليب حروف الكلمة على كل وجوهها ، فإذا أردت البحث عن فعل (لبس) فسوف تجده في مادة (بسل) لأن الباء تتقدم السين واللام في النظام الألف بائي. وهكذا إذا أردت البحث عن مادة (لقب) أو (قلب) فسوف تجدها في مادة (بقل) ، والمشهور أن نسخ الجمهرة كثيرة الزيادة والنقصان، لأن ابن دريد أملاها بفارس ثم ببغداد من حفظه، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص ، والنسخة الباقية التي عليها المعول، هي النسخة الأخيرة، وآخر ما صح من النسخ: نسخة أبي الفتح النحوي المعروف بجخجخ، لأنه كتبها من عدة نسخ، وقرأها على ابن دريد .

وكغيره من الكتب السائرة أقبل الناس على إدلاء دلائهم في الاستدراك عليه، وتوضيح غريبه، وترجمة مواده، وأول من ألف كتاباً فيه: غلام ثعلب، وسمى كتابه (فائت الجمهرة) وألف أبو العلاء المعري كتاباً في شرح شواهده سماه (نشر شواهد الجمهرة) واختصرها الصاحب ابن عباد في كتاب سماه (جوهرة الجمهرة) واختصرها ابن عنين الشاعر، وحفظ مختصره، أما ابن منظور فأودعها كلها في كتابه (لسان العرب) وذكر ابن سيده أنه استفرغها في (المحكم) و (المخصص) إلا أن الناظر فيه يرى أنه اقتصر على نقل أبواب منها. وكانت عمدة الناس في اللغة حتى القرن السادس، ثم تركها الناس وعكفوا

على كتب أخرى. طبع الكتاب لأول مرة في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٤هـ ، بعناية زين العابدين الموسوي، معتمداً ثلاث نسخ من مخطوطاته، أهمها: نسخة المكتبة الآصفية باستنبول، فرغ ناسخها من نقلها سنة (١٠٧٨هـ) ونقلها من نسخة مقروءة على ابن خالويه وأبي العلاء المعري، وعليها حواش لهما طبعت برمتها في ذيل الكتاب. وتليها في الأهمية نسخة المستشرق (فريتس كرنكو) الألماني الأصل، الإنكليزي الوطن، وقد قابلها بعدة نسخ من الجمهرة محفوظة في مكاتب أوربا، وكانت له جهود كبيرة في تصحيح ونشر هذا الكتاب .

لم يحتذ ابن دريد منهج كتاب العين بصورة حرفية ، بل انه نسج على منواله حسب ، مع اختلاف واضح في رسم المنهج وتطبيقه ، فوجه الشبه بينهما هما :

١- التقسيم الكمي .

٢- التقليب .

ووجها خلاف هما :

١- الترتيب الصوتي في العين والهجائي في الجمهرة .

٢- بدء العين بمرحلة الترتيب الصوتي ثم تقسيم كل حرف تقسيماً كمياً ، أما الجمهرة فتبدأ بالتقسيم الكمي ثم تقسم كل نوع الى أبواب بعدد حروف الهجاء .

أجلّ ابن دريد صاحب العين وأكبره وأشار الى أن كتابه ((فأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما إِلَى نهايته، فالمنصف لَهُ بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده لَهُ تبع أقرّ بذلك أم جحد)) .

٣- المحكم والمحيط الأعظم :

لأبي الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده المتوفى سنة (٤٥٨هـ/ ١٠٦٦ م) ، إمام في اللغة وآدابها ، ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها ، كان ضريرا (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها،

فصنف «المخصص» سبعة عشر جزءا، وهو من أثمن كنوز العربية، و «المحكم والمحيط الأعظم» أربعة مجلدات منه [ثم طبع كاملا]، و «شرح ما أشكل من شعر المتنبي» [ثم طُبع] و «الأنيق» في شرح حماسة أبي تمام، ست مجلدات، وغير ذلك .

وكتاب المحكم والمحيط الأعظم أجل ما ألف من معاجم اللغة العربية حتى عصر ابن منظور، ألفه ابن سيده امتثالاً لرغبة الأمير الخطير مجاهد العامري صاحب (دانية) ، وكان يريد هو أن يؤلفه فمنعه من ذلك اشتغاله بالفتوح. قال: (فأمرني بالتجرد لهذه الإرادة ... وأراني كيف أملك عنان الحقيقة، ومن أي المآتي أسلك متان الطريقة) . قال ابن منظور: (ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة للأزهري، ولا أكمل من المحكم لابن سيده ... وما عداهما ثنيات الطريق) كان ابن سيده أعمى هو وأبوه. وكتابه (المحكم) توأم كتابه (المخصص) الذي طبع بعناية محمد عبده، وابن التلاميد في (١٧) مجلداً ما بين سنتي (١٣١٦ و١٣٢١هـ) وصرح في مقدمة (المحكم) أنه ألفه بعد (المخصص) وصرح في مقدمة (المخصص) أنه ألفه بعد (المحكم) ! ولا غضاضة في ذلك فإن مادة الكتابين واحدة، جمعها في (المخصص) حسب ترتيب الموضوعات، ورتبها في (المحكم) على منوال كتاب (العين) للخليل بن أحمد. وضمنه جهود كل من سبقه من اللغويين. قال: (وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة: فمصنف أبي عبيد، والإصلاح، والألفاظ، والجمهرة، وتفاسير القرآن، وشروح الحديث، والكتاب الموسوم بالعين (ما صح لدينا منه وأخذناه بالوثيقة عنه ، وكتب الأصمعي، والفراء، وأبي زيد، وابن الأعرابي، وأبي عبيدة، والشيباني، واللحياني ، وما سقط إلينا من جميع ذلك، وكتب ثعلب: المجالس، والفصيح، والنوادر، وكتابا أبي حنيفة، وكتب كُرَاع. إلى غير ذلك من المختصرات كالزبرج، والمكنّى، والمُبنّى، والمثنّى، والأضداد، والمبدل، والمقلوب، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المعللة العجيبة، الملخصة الغريبة، المؤثرة لفضلها، والمسترد لمثلها، وهو حلى كتابي هذا وزينه، وجماله وعينه، مع ما أضفته إليه من الأبنية التي فاتت كتاب سيبويه معللة، عربية كانت أو دخيلة. وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين

المتأخرين، المتضمنة لتعليل اللغة، فكتب أبي علي الفارسي: الحلبيات والبغداديات والأهوازيات، والتذكرة والحجة والأغفال والإيضاح وكتاب الشعر. وكتب أبي الحسن بن الرماني كالجامع والأغراض، وكتب أبي الفتح عثمان بن جنى كالمغرب والتمام، وشرحه لشعر المتنبي، والخصائص، وسر الصناعة، والتعاقب، والمحتسب إلى أشياء اقتضبتها من الأشعار الفصيحة، والخطب الغريبة الصحيحة) ، وهو أحد كتابين بنى الفيروز آبادي قاموسه عليهما، وهما: العباب والمحكم .

- طريقة الحرفين الاول والاخير :

أما النظام الثاني في هذا المعجم فقد خرج خروجاً كاملاً على منهج العين ، واكتفى بتريب منهجي بعيد عن أثر الظاهرة الصوتية في رصد الالفاظ ، هذه الظاهرة المتمثلة في مراعاة مخارج اصوات الجذر اللغوي وتقاليبها عند ارادة تسجيله في المعجم ، فكان نظام الباب والفصل أو الترتيب بحسب القافية الخط الثاني الذي سار عليه بناة المعجم ، وألفوا على اصوله أوفى المعجمات وأكبرها ، ومن هذا النوع من المعاجم :

١- الصحاح :

لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة (٣٩٣هـ) ، أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله ، لغوي، من الأئمة ، وخطه يذكر مع خط ابن مقلة ، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) ، أصله من فاراب، ودخل العراق صغيراً، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور، وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلاً .

كان الجوهري هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطّه يضرب به المثل في الجودة لا يكاد يفرّق بينه وبين خطّ أبي عبد الله

ابن مقلة، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول. وكان يؤثر السفر على الحضر، ويطوف الآفاق، واستوطن الغربة على ساق، دخل العراق فقرأ علم العربية على شيخي زمانه ونور عين أوانه: أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى أرض الحجاز، وشافه باللغة العرب العاربة، وقد ذكر هو ذلك في مقدمه «كتاب الصحاح» من تصنيفه، وطوّف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من التطواف عاد راجعا إلى خراسان، وتطرّف الدامغان، فأنزله أبو علي الحسين بن علي، وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء، عنده، وأخذ عنه وسمع منه، ثم سرّحه إلى نيسابور، فلم يزل مقيما بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة .

وذكره أبو الحسين الباخرزي فقال: هو صاحب «صحاح اللغة» لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه، وله من التصانيف: كتاب في العروض جيد بالغ سماه «عروض الورقة» . كتاب المقدمة في النحو. كتاب الصحاح في اللغة. وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه، وجوّد تأليفه، وقرّب متناوله، وأبرّ في ترتيبه على من تقدمه، يدلّ وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة؛ فهو أحسن من «الجمهرة» وأوقع من «تهذيب اللغة» وأقرب متناولا من «مجمل اللغة» ، فيه يقول الشيخ أبو محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري : هذا كتاب الصحاح أحسن ما صنّف قبل الصحاح في الأدب يشمل أبوابه ويجمع ما ... فرّق في غيره من الكتب هذا مع تصحيف فيه في مواضع عدة أخذها عليه المحققون وتتبعها العالمون، ومن ذا الذي ما ساء قط؟ ومن له الحسنى فقط؟ فإنه رحمه الله غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء الذين تقدموه وتأخروا عنه، فإني لا أعلم في الدنيا كتابا سلّم إلى مؤلفه فيه، ولم يتبعه بالتتبع من يليه .

وحين يشير الجوهري الى ما اودع كتابه من الصحيح ، فقد كان له ان حصل هذه اللغة بالعراق فاتقنها رواية ، وشافه بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية على حد قوله ، فلما شرع في تدوين كتابه كان العمل المعجمي قد اعطى معجمات كبيرة مشهورة فضلاً عن الرسائل والمدونات الصغيرة ، فأفاد من ذلك

كله ، وكانت استفادته من كتاب خاله ابي ابراهيم اسحق بن ابراهيم الفارابي ديوان الادب واسعة على المستوى المنهجي والمادي ، فمنه اخذ الباب والفصل ، ومنه ايضاً سلخ كثيرا من مادة اللغة ، ولكنه اراد لمعجمه صبغة خاصة في التصنيف ، فابتعد فيه عن النظر الصرفي الذي دفع خاله الى التزام نظام الابنية ، وعن فكرة التقليب التي قام عليها العين واشباهه ، وعن فكرة الدوران مع الحروف في ترتيب الالفاظ في الكتب والاقسام التي توفر عليها كتابا ابن فارس مقاييس اللغة والمجمل ، وهو في ابتعاده عن هذه النظم وهذه الافكار عد بحق نموذجاً معجمياً متطوراً ، يناسب ازدهار الحضارة العربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري .

أما قيمة الصحاح فتبدو لنا واضحة من خلال المكتبة اللغوية الضخمة التي الفت حوله ، وعرض لها احمد عبد الغفور عطار في كتابه : الصحاح ومدارس المعجمات العربية بفصل مبسوط ، تكلم فيه على اثر هذا المعجم في التأليف اللغوي .

٢- لسان العرب :

لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى المتوفى سنة (٧١١هـ) ، صاحب : الإمام اللغوي الحجة ، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري ، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد إلى مصر فتوفى فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره ، قال ابن حجر: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة ، وقال الصفدى: لا أعرف في كتب الأدب شيئا إلا وقد اختصره .

أشهر كتبه (لسان العرب) عشرون مجلدا، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعا، ومن كتبه (مختار الأغانى) ١٢ جزءا، و(مختصر مفردات ابن البيطار) و(نثار الأزهار في الليل والنهار) أدب، وهو الجزء الأول من كتابه (سرور النفس بمدارك الحواس الخمس) في مجلدين، هذب فيهما كتاب (فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب) لأحمد بن يوسف التيفاشى ، وله (لطائف

الذخيرة) اختصر به ذخيرة ابن بسام، و(مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر) و(مختصر تاريخ بغداد للسمعاني) و(اختصار كتاب الحيوان للجاحظ) و(أخبار أبى نواس) جزآن صغيران، و(مختصر أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة) رأيته في مكتبة الأمبروزيانة (١١٩. A) و(المنتخب والمختار في النوادر والأشعار) في شستربتى (٥٠٣٢)، و له شعر رقيق .

ولسان العرب أشهر معاجم اللغة العربية، في العصور المتأخرة ، نهج في ترتيبه على منوال الجوهري في الصحاح، كما فعل الفيروز آبادي في القاموس ، وذلك باعتماد الترتيب الهجائي للحروف، بانياً أبوابه على الحرف الأخير من الكلمة: وأول أبوابه ما ينتهي بالهمزة. وصرح في مقدمته أن عمله لا يعدو الترتيب، وقد رتب فيه مواد خمسة كتب، هي: (تهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، وحاشية الصحاح لابن بري، والنهاية لابن الأثير) ولم يذكر (جمهرة اللغة) لابن دريد، مع أنه رجع إليها في كثير من مواده. قال: (ولا أدعي فيه دعوى، فأقول: شافهت أو سمعت، أو فعلت أو صنعت، أو شددت الرحال أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالاً، ولم يخليا لأحد فيها مجالاً، فإنهما عيّنا في كتابهما عمن رويا، وبرهنا عما حويا، ونشرا في خطبهما ما طويا، ولعمري لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفيا ... وليس في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في هذه الكتب ... وأديت الأمانة في نقل الأصول بالفص، وما تصرفت بكلام غير ما فيها من النص، فليعتد من ينقل عن كتابي أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة .

طبع لأول مرة بمطبعة بولاق في القاهرة سنة ١٨٨٢م بعناية الشدياق، وطبع بعد ذلك عدة طبعات، ثم طبع أخيراً في بيروت سنة ١٩٩٦م (دار إحياء التراث العربي) بتغيير ترتيبه الذي طبع عليه في الطبعات السابقة، حيث رتب على غرار المعاجم الحديثة، باعتماد أوائل حروف الكلمة، وليس أواخرها كما هو في الطبعات السابقة. أما ابن منظور فمن أحفاد الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري، عامل معاوية

على طرابلس الغرب. توفي سنة ٧١١هـ قبل ولادة صاحب (القاموس المحيط) بثماني عشرة سنة، أما ما ذكره الشدياق في مقدمة طبعته للسان العرب من أن ولادة ابن منظور سنة ٦٩٠ ووفاته سنة ٧٧١هـ فخطأ ظاهر لا يعول عليه. وانظر ما كتبه فاروق الحبوبي في مجلة آداب الرافدين (المجلد ٧ ص٥٤٣) بعنوان: منهج ابن منظور في لسان العرب. وفي مجلة العرب (س٢٣ ص٥٧٢) إحالات مهمة عما كتب في المجلات من بحوث في تصويب لسان العرب. ومن غريب ما يذكر أن لابن سينا أيضاً كتاباً في اللغة سماه "لسان العرب" لم يصنف في اللغة مثله، ولم ينقله إلى البياض حتى توفي، فبقي على مسودته، لا يهتدي أحد إلى ترتيبه .

ويضم المعجم نحو ثمانين ألف مادة، وهو معجم موسوعي يتسم بغزارة المادة، حيث يستشهد فيه مؤلفه بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأبيات الشعر، وقد بلغ الشعر الذي استشهد به ابن منظور قرابة اثنين وثلاثين ألف بيت، موزعة بين عصور الرواية الشعرية من جاهلي ومخضرم وإسلامي وأموي وعباسي، وذلك إضافة إلى رواية المؤلف لآلاف من آراء اللغويين والنحويين وغير ذلك من الأخبار والآثار، وقد جمع فيه ما توفّر له من خمسة معاجم رئيسية اطلع عليها وعلى غيرها من كتب اللغة، وهذه المعاجم هي: تهذيب اللغة لأبي منصور محمد ابن أحمد الأزهري، والمحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيده الأندلسي، والصحاح للجوهري، وحاشية الصحاح لابن بري، والنهاية (تفسير لغوي) لابن الأثير.

ومن أسباب تأليف ابن منظور لمعجم لسان العرب هو أنه وجد أن الذين سبقوه إما أحسنوا الجمع وأساءوا الوضع والترتيب، وإما أحسنوا الوضع ولكنهم أساءوا الجمع. وقد رتب ابن منظور معجمه على نظام الأبواب والفصول، حيث يعالج كل باب حرفًا من حروف الهجاء، وفقًا لآخر جذر الكلمة. ثم يورد في كل باب فصلاً لكل حرف وفقًا لأوائل جذور الكلمات. وقد طبع لسان العرب عدة طبعات، لعل من أفضلها طبعة دار المعارف المصريّة، حيث قام بتحقيق المعجم ثلاثة من الباحثين هم محمد أحمد حسب

الله وعبد الله على الكبير وهاشم محمد الشاذلي. كما أنهم أعادوا ترتيب مداخل اللسان وفق نظام أساس البلاغة للزمخشري والمصباح المنير للفيومي، وهو الأسلوب المتّبع في معظم معاجم اللغة العربية الحديثة، حيث رتبت المواد تبعًا لأوائل الجذور لا أواخرها.

٣- القاموس المحيط :

لمحمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ) ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند ، ورحل إلى زبيد (سنة ٧٩٦هـ) فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها ، وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفى في زبيد .

أشهر كتبه (القاموس المحيط) أربعة أجزاء ، و(المغانم المطابة في معالم طابة) القسم الجغرافي منه، حققه ونشره حمد الجاسر، وبقية الكتاب مخطوطة عنده ، وينسب للفيروزآبادي (تنوير المقباس في تفسير ابن عباس) وله (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) و(نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان) و(الدرر الغوالى في الأحاديث العوالي) و(الجليس الأنيس في أسماء الخندريس) و(سفر السعادة) في الحديث والسيرة النبوية و(المرقاة الوفية في طبقات الحنفية) وكان شافعيا، و(البلغة في تاريخ أئمة اللغة) و(تحبير الموشين في ما يقال بالسين والشين) و(المثلث المتفق المعنى) و(الإشارات إلى ما في كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات) و(نغبة الرشاف من خطبة الكشاف) رسالة ، وكان قوي الحافظة، يحفظ مئة سطر كل يوم قبل أن ينام ، وللشيخ رمضان بن موسى العطيفي (ري الصادي في ترجمة الفيروزآبادي) .

ألف الفيروز آبادي القاموس المحيط وقدمه للملك الأشرف إسماعيل أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن ، واستغرق في تأليفه قرابة ثلاثين عاماً ، وتم له ذلك في مكة قبل رحيله الى اليمن ليقيم فيها ويموت ، وجرى فيه على نظام الصحاح : الباب والفصل .

لقد اتخذ الفيروز آبادي صحاح الجوهري نموذجاً ، ورمى الى انشاء معجم يناظره صحة ، ويفوقه استيعاباً ، ووصف هذه الرغبة بقوله : (ولما رأيت إقبال الناس على " صحاح " الجوهري، وهو جدير بذلك، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر، إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادرة، أردت أن يظهر للناظر بادئ بدء، فضل كتابي هذا عليه، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه، وفي سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه إليه، ولم أذكر ذلك إشاعة للمفاخر، بل إذاعة لقول الشاعر) ، وهو في هذه اللحظة لم يعد رغبته في الاختصار واستيعاب المعاني الكثيرة باقل ما يمكن من الالفاظ ، حتى قال : (إذا تأملت صنيعي هذا، وجدته مشتملاً على فرائد أثيرة، وفوائد كثيرة: من حسن الاختصار، وتقريب العبارة، وتهذيب الكلام، وإيراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة) ، بل انه لم يقف عند هذا الحد ، بل حاول الاقتصاد أيضاً في ايراد جذور اللغة نفسها .

- طريقة الحرفين الاول والثاني :

١- اساس البلاغة :

وضع هذا المعجم جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ) ، كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننًا في علوم شتى ، ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة ، وكان معتزلي المذهب. أخذ الأدب عن أبي مُضر محمود بن جرير الضَّبِّي الأصبهاني وأبي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي، ومن أبي سعد الشَّقَّاني .

سافر إلى مكة وجاور بها زمانًا، فصار يقال له: جار الله، لذلك، وأصبح هذا الاسم علمًا عليه، له من منثور الكلام ما يشفُّ عن عبقرية وغزارة علم وحسن فهم وإدراك، وذلك نحو قوله: «استمسك بحبل مواخيك ما استمسك بأواخيك واصحبه ما صحب الحق وأذعن، وحل مع أهله وظعن، فإن تنكرت أنحاؤه، ورشح بالباطل إناؤه فتعوض عن صحبته وإن عُوضت الشِّسْع، وتصرف بحبله ولو أعطيت النسع، فصاحب الصدق أنفع من الترياق النافع، وقرين السوء أضر من السم الناقع» .

ألَّف الزمخشري تصانيف عديدة في صنوف المعرفة المختلفة، ففي تفسير القرآن الكريم ألف كتابه الكشاف الذي وصف بأنه لم يصنَّف قبله مثله. وفي تفسير الحديث صنف كتاب الفائق، وله في اللغة كتاب أساس البلاغة، أما في النحو فقد صنف كتبًا كثيرة منها: المفصل، وقد اعتنى بشرحه خلق كثير، والأنموذج، والمفرد، والمؤلَّف، وشرح أبيات كتاب سيبويه، وله في الأمثال: المستقصي في أمثال العرب ، كما أن له كتبًا في علم الفرائض، والأصول، والفقه والأمالي في كل فن، وله شعر جميل .

وهذا المعجم يعد الحلقة الاولى من سلسلة جديدة من معاجم اللغة يقوم على طريقة الحرف الاول والثاني تسلسل كلماتها ، ويختلف عن المعاجم الاخرى في انه لم يقصد الى جمع واستيعاب الالفاظ العربية ليبين معانيها ، وانما قصد الى بيان ما في جديد اللغة من البلاغة ، ومدلول البلاغة عنده ليس المعنى الاصطلاحي المعروف لعلم البلاغة ، من بيان وبديع ومعان ، فاختار له هذا العنوان المناسب لغرضه وقد صرح بذلك في مقدمته القصيرة .

وانفرد الزمخشري في منهج كتابه حيث لم يورد الالفاظ المفردة وما يقابلها من المعاني ، كما كان يفعل اصحاب المعاجم الاخرى ، وإنما كان يورد الالفاظ ومحاسنها من خلال العبارات الجميلة البليغة ، ليوفر للقارئ اقتناص الشواهد ، وايراد الامثلة ، فهو اذن معني بالألفاظ المركبة ، لا اللفظة المنفردة ، فنراه يقول : (ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات

المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملح وتحسن، ولا تنقيض عنها الألسن، لجريها رسلات على الأسلات، ومرورها عذبات على العذبات) .

وهو بعد ايراده العبارات ذات المعنى الحقيقي يورد العبارات ذات المعنى المجازي ، إذ رتب فيه المجازات اللغوية على حروف المعجم، مبيناً ما جاء منها على وجه الحقيقة، وما جاء على سبيل المجاز. وهو يذكر المعنى الحقيقي للفظ أولاً، ثم ينتقل إلى ذكر معانيه المجازية. وأودع فيه كما قال في مقدمته (فصيح اللغات، وملح البلاغات، وما سمع من الأعراب في بواديها، ومن خطباء الحلل في نواديها، ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها، ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها، وما تزاجرت به السقاة على أفواه قُلُبها، وتساجعت به الرعاة على شفاه عُلبها، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات الممانتة، وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر، من روائع ألفاظ مفتنّة، وجوامع كلم في أحشائها مجتنّة. وما وقع تحت عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملح وتحسن، ولا تنقبض عنها الألسن .

ومن خصائصه تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح) قال: وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً، وأسهله متناولاً. وأشهر ما ألف في هذا الكتاب (غراس الأساس) للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) وفي مقدمته قوله: (ورأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة في اللغة، من تبيين الحقيقة من المجاز ... فرأيت الاقتصار منه على ما جزم بأنه وضع على سبيل المجاز، مكتفياً بالكتب المصنفة في اللغة، فإنها أوعب من هذا الأساس، فمن لم يجد في هذا المختصر شيئاً، فليجزم بأنه وضع على الحقيقة، معتمداً على هذا الإمام البليغ المطلع) . وللأمير الصنعاني (الإحراز لما في أساس البلاغة من كناية وإعجاز) ، طبع كتاب الأساس لأول مرة في

القاهرة سنة (١٢٩٩هـ) ثم سنة ١٣٢٧هـ ثم أصدرت دار الكتب نشرتها الأولى له سنة ١٣٤١هـ ١٩٢٢م والثانية سنة ١٩٧٣م وله غير ذلك من الطبعات .

٢- محيط المحيط :

وضع هذا المعجم بطرس البستاني المتوفى سنة (١٨٨٣) ، وهو أول معجم وضعه اليسوعيون الذين وضعوا سلسلة من المعاجم اللغوية ، مثل قطر المحيط للمؤلف نفسه ، واختصر فيه (محيط المحيط) ، والبستان لعبد الله البستاني (ت١٩٣٠) ، ومختصره (فاكهة البستان) للمؤلف نفسه ، ثم المنجد للاب لويس اليسوعي .

كانت غاية البستاني من تأليف معجمه ان يسهم في احياء اللغة العربية التي طمست معالمها ، وابتعد عنها الناطقون من ابنائها ، وان ييسر للطلاب الرجوع الى هذه اللغة الشريفة ، عن طريق معجم منسق ميسر يلائم مستواهم ، ويسد حاجتهم الى المفردات العربية الاصيلة .

اما مادة هذا المعجم فقد تحدث عنها في مقدمته فقال: (هذا المؤلف يحتوي على ما في محيط الفيروز آبادي ، الذي هو أشهر قاموس للعربية ، من مفردات اللغة ، وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها في كتب القوم ، وعلى ما لا بد منه لكل مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون) .

وترتيب هذا المعجم يقوم على ترتيب الالفاظ على حسب حروفها الاصلية ملتزماً الترتيب الهجائي لاوائل وثواني وثوالث الحروف كما فعل الزمخشري في اساس البلاغة .

٣- المنجد :

وضع هذا المعجم الاب لويس معلوف سنة (١٩٠٨) اختصر فيه (محيط المحيط) واستعان بتاج العروس كثيراً ، وسار فيه على نظام (محيط المحيط) من حيث ترتيب موارده ، الا انه ادخل عليه بعض الزيادات الجزئية ، افادها من المعاجم الاجنبية ، وحاول تطبيقها في المعجم العربي ، واستخدم الخطوط العمودية المائلة للدلالة على الكلمة المفسرة سابقاً ، وخطوطاً اخرى رسمها للدلالة على الكلمات المفسرة

اذا كانت فعلاً وهكذا ، وصدر ابواب المعجم بشرح موجز لمعنى حرف الباب أيضاً ، وكتب كل مادة يريد شرحها باللون الاحمر ، ليسهل استخراج معناها ومعرفتها ، وزين كثيرا من صفحات المعجم بصور ملونة للتوضيح ، وذيل معجمه بمجموعة من فرائد الادب في الامثال والاقوال السائرة عند العرب مرتبة هجائياً .

معجمات المعاني :

يقوم هذا النوع من المعاجم على جمع الالفاظ اللغوية وتدوينها حسب معانيها ، ولذلك كانت تسمى كتب الصفات ، وهي تعين الباحث على ايجاد اللفظ المناسب للمعنى الذي يريده ، وقد بدأ التأليف في هذا النوع من المصنفات على صورة رسائل صغيرة ، يقتصر البحث فيها على موضوع أو جنس واحد ، مثل خلق الانسان للاصمعي وأبي زيد وغيرهم .

وفي المرحلة الثانية جمع العلماء هذه الموضوعات والاجناس وجعلوها في مصنف واحد ، قد يفتقد المنهج الدقيق والشمولية ، ويجري حسب الموضوعات التي يختارها المصنف ومن اوائل المصنفات العربية في هذه المرحلة الغريب المصنف للقاسم بن معن الكوفي (ت١٧٥هـ) وهو مفقود ، وتوالت مصنفات هذا المنهج حتى توجها ابو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) بكتابه الغريب ، المصنف وهو اقدم ما وصل الينا في هذا الباب .

وبعد هذه المرحلة ظهرت معاجم المعاني ، وهي تختلف عن كتب المرحلة الثانية في دقة ترتيبها ، واتصافها بالشمولية ، وخير ما يمثل هذه المرحلة ثلاثة معاجم :

١- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء :

لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحي بن مهران اللغوي العسكري المتوفى سنة (٣٩٥هـ) ، عالم لغوي رائد، له جهد محفوظ في مجالات البلاغة والنقد والأدب، تتلمذ على يد خاله أبي أحمد العسكري صاحب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وكثيرًا ما اختلطت أخبارهما، ونسب إلى أحدهما ما للآخر من أقوال أو مؤلفات، والمعلومات عن سيرته قليلة، سوى ما يذكرونه عن اشتغاله تاجرًا

في الأقمشة احترازًا من الطمع والدناءة والتبذل، وقوله الشعر، واهتمامه بالأدب والنقد واللغة، وأخذ أبو سعد السمان الحافظ بالرّي عنه، وكذلك أبو الغنائم بن حماد المقرئ.

والغالب على مؤلفاته الأدب وما يتصل به. فله كتاب جمهرة الأمثال، ديوان المعالي ومعاني الأدب، وكتاب في شرح الحماسة، وكتاب أعلام المعاني في معاني الشعر وله ديوان شعر؛ وكتاب الصناعتين الشعر والنثر.

وفي هذا الكتاب الأخير اعتمد العسكري على التراث النقدي للمتقدّمين؛ فاستفاد منه في تقديم عدد من الوصايا لإعداد نص شعري أو نثري، وبيان ما هو مشترك بينهما كالأشكال البلاغية، فجعل كتابه في عشرة أبواب، الأول للبلاغة وحدودها، والثاني لتمييز جيد الكلام من رديئه، والثالث في معرفة صفة الكلام وترتيب الألفاظ، والباب الرابع في حسن النظم وجودة الرصف، وخصص الباب الخامس للإيجاز والإطناب، والباب السادس للسرقات الشعرية، وعقد السابع للتشبيه، والثامن للسجع، وعرض لفنون البديع في التاسع، أما العاشر فوقف فيه عند حسن المبادئ والمقاطع وجودة القوافي وحسن التخلص من غرض إلى غرض .

وبذلك قدم تصوّرًا لكيفية إنجاز نص شعري أو نثري وأبرز تلك الأشكال المشتركة بين الشعر والنثر، وإن لاحظ اختصاص بعض القضايا بأحد الفنين دون الآخر ، وإلى هذا الكتاب تعود شهرته في تاريخ النقد والبلاغة العربيين. وله كتب أخرى ذات صفة لغوية مثل: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء؛ الفروق اللغوية؛ ما تلحن فيه العامة؛ نوادر الواحد والجمع .

وكتاب التلخيص مشتمل على اربعين باباً تشمل الكون جميعاً ، الانسان والحيوان والنبات والجماد ، وما يتفرع عن هذه الكائنات العامة ، وقد قسم كل باب الى فصول ، وتختلف الابواب من حيث عدد الفصول ، وكانت طريقة العسكري في تناول كل معنى ان يورد الالفاظ التي تدل على ذلك المعنى في

احواله المختلفة ، ثم يشرحها ، وقد ينبه على المعرب والدخيل منها ، ويورد المترادف منها ، ويثبت الفرق بين المترادف مع الشواهد .

٢- فقه اللغة :

لمؤلفه عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة (٤٢٩هـ) ، أديب ولغوي وناقد وصاحب الكتاب الشهير يتيمة الدهر. وُلِد في نيسابور، وهو غير الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن ، كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب فنُسب إلى صناعته، ثم انتقل من حياكة الفراء إلى دراسة اللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر. قال الباخرزي عنه: هو جاحظ نيسابور، وأجمع من ترجموا له على أنه كان نابغة عصره في الأدب نظمًا ونثرًا، وكان قبلة أنظار المؤلفين بعده، فاحتذى حذوه وسار على نهجه جماعة في شرق العالم الإسلامي وغربه .

وهو من الذين أسهموا في ازدهار نهضة القرن الرابع الهجري أدبيًا، حيث قدم للعربية عددًا كبيرًا من المؤلفات والمصنفات التي تنوعت لتشمل أغراضًا مختلفة في الآداب، واللغة والفكر ، وقد خشي الثعالبي من أن يكون للشعراء السابقين على عصره فضل في الأدب والشعر وفنونه ولا يكون لشعراء عصره من يتصدَّى لمثل ذلك، فندب نفسه لهذا، وظهرت براعته في كتابه يتيمة الدهر، وغايته من هذا الكتاب خدمة اللغة العربية عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلمًا .

ولم يقتصر الثعالبي فيه على ترجمة خالصة للشعراء والاستشهاد بالنصوص الشعرية، بل نراه يورد آراء نقدية قيمّة وتعليلات أدبية ممتعة تنم عن ذوق أدبي رفيع، كما يعمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره من الشعراء في الفن الشعري، ويكشف ببراعة عن مدى تأثر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين، ومن أهم الآثار التي خلّفها الثعالبي بعد كتابه يتيمة الدهر: العقد النفيس في نزهة الجليس؛ فقه اللغة وسر العربية، وغيرها .

استعان الثعالبي في جمع مادة الكتاب بأقوال عدد كبير من علماء اللغة وائمتها المعروفين ، ذكر منهم في مقدمته الخليل والاصمعي والشيباني والكسائي والفراء ، ومن سواهم من ظرفاء الادباء الذين جمعوا فصاحة البلغاء ، الى اتقان العلماء ، ووعورة اللغة الى سهولة البلاغة ، كالصاحب بن عباد وحمزة الاصفهاني والمراغي والخوارزمي وغيرهم .

يقع الكتاب في ثلاثين باباً ، ضمنها ما يناهز ستمائة فصل ، وهو يشبه كتاب العسكري الى حد كبير في تقسيمه الى ابواب عامة والى فصول خاصة في كل باب ، الا انه يختلف عنه من حيث عدم ترتيب ابوابه بحسب كائنات ومخلوقات الكون ، وانما ذكر كل ما يتعلق بالاسم والصفة في الانسان وسواه معاً بلا تفريق او تمييز، حضي هذا المعجم باهتمام ورواج كبيرين ، فطبع مراراً في أوربا والبلاد العربية وأحسن طبعاته طبعة القاهرة .

٣- المخصص :

علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها ، ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها ، كان ضريراً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف «المخصص» سبعة عشر جزءا، وهو من أثمن كنوز العربية، و«المحكم والمحيط الأعظم» أربعة مجلدات ، و«شرح ما أشكل من شعر المتنبي» و«الأنيق» في شرح حماسة أبي تمام، ست مجلدات، وغير ذلك .

وضع الزمخشري هذا الكتاب بعد تأليفه المحكم والمحيط الأعظم ليكون مقابلاً له ومعادلاً ، فالأول مرتب على الالفاظ اللغوية ، والثاني مرتب على المعاني ، قال في مقدمته : (لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنسا لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبوبا حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المفوه والخطيب المصقع والشاعر المجيد المدقع) ، فجاء أكبر

المعاني المعروفة ، وضح في مقدمته الغرض من تأليفه ، فذكر انه لم يجد كتاباً جامعاً للغة التي بقيت مشتتة بين المصنفات ، كما وجد ان من صنف في موضوع كتابه أهمل القضايا النحوية وعللها ، فأراد ان يستدرك ذلك في كتابه فقال: (فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عما نتصوره وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا أحببت أن أجرد فيها كتابا يجمع ما تنشر من أجزائها شعاعا وتنثر من أشلائها حتى قارب العدم ضياعا ولا سيما هذه اللغة المكرمة الرفيعة المحكمة البديعة ذات المعاني الحكيمة المرهفة والألفاظ اللدنة القويمة المتفقة مع كون بعضها مادة كتاب الله تعالى الذي هو سيد الكلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وتأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة وصنفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة فوجدتهم قد أورثونا بذلك فيها علوما نفيسة جمة وافتقروا لنا منها قلبا خسيفة غير ذمة إلا أني وجدت ذلك نشرا غير ملتئم ونثرا ليس بمنتظم إذ كان لا كتاب نعلمه إلا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه ثم إني لم أر لهم فيها كتابا مشتملا على جلها فضلا عن كلها مع أني رأيت جميع من مد إلى تأليفها يدا وأعمل في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وخلدا قد حرموا الارتياض بصناعة الأعراب ... فإنا نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ... فاشرأبت نفسي عند ذلك إلى أن أجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط إلي من اللغة إلا ما لا بال به وأن أضع على كلمة قابلة للنظر تعليلها وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه وتركتها على ما ودعوه) .

أما مصادره فهي جميع رسائل وكتب ومعاجم المعاني التي وضعت قبله ، وفي طليعتها الغريب المصنف لابي عبيد الذي كان يحفظه عن ظهر قلب ، وقد قال احد العلماء : (دخلت مرسية، فتشبث بي أهلها ليسمعوا علىّ غريب المصنف، فقلت لهم: انظروا من يقرأ لكم، وأمسك أنا كتابى، فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأه علىّ من أوّله إلى آخره، فعجبت من حفظه) .

قسم ابن سيدة كتابه الى كتب فأبواب ، ولم يجعله أبواباً ففصولاً ، وسار في تقسيمه على حسب المعاني العامة الشاملة ، متدرجاً الى الفروع والجزئيات ، وقال: (فأما فضائل هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص والإتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير وتقديمنا كم على كيف وشدة المحافظة على التقييد والتحليل) .

كتب النحو والصرف :

أولاً ً : كتب النحو :

١- كتاب سيبويه :

لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه المتوفى سنة (١٨٠هـ) ، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه ، وصنف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي ، وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم ، وعاد إلى الأحواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز، وكانت في لسانه حبسة ، و«سيبويه» بالفارسية رائحة التفاح ، وكان أنيقاً جميلاً ، توفي شاباً ، وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف ، ولأحمد أحمد بدوي «سيبويه، حياته وكتابه» ولعلي النجدي ناصف «سيبويه إمام النحاة» .

أصل الأصول في النحو والصرف واللسانيات، وفي (مراتب النحويين) لأبي الطيب اللغوي أن الناس كانت تسميه: قرآن النحو، ومع ذلك لم يلق القبول في عصر مؤلفه، كما تقول الأسطورة، فغضب سيبويه وأمر أن يدفن معه في قبره، وفي حواشي مخطوطاته الملوكية التي وصلتنا ما يدل على عظيم العناية به، وأهمها: نسخة باريس، المنقولة عن نسخة أبي علي الفارسي، التي جمع فيها: نسخة المبرد، ونسخة الزجاج، ونسخة ابن السراج، ورمز لكل منها بحرف أثبته فوق منقولاته منها، وجعل علامة النسخ المجهولة كلمة: (نسخة)، طبع لأول مرة في باريس، بعناية (درنبورغ) سنة ١٨٨١م وقدم له بمقدمة جليلة،

وترجمه إلى الألمانية (ج. يان) وأصدره في خمسة مجلدات ما بين (١٨٩٥م و١٩٠٠م) جمع في المجلد الثاني أخبار الكتاب في التاريخ، بالعربية، وطبع في كلكتا ١٨٨٧م وبولاق ١٨٩٨م .

وسمى هارون (٥٥) كتاباً ألفت حوله، قال ابن النديم: (قرأت بخط ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون رجلاً، منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل) وفي أسلوبه غموض، عبر عنه ابن كيسان (ت ٢٩٩هـ) بقوله: (ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى إيضاح، لأنه ألف في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ) وبالرغم من أن الكتاب يمثل مدرسة البصريين فإن الكوفيين لم يجدوا بداً من الاعتراف به، حيث قرأه الكسائي على الأخفش سراً فيما يقال، ومات الفراء وهو تحت وسادته .

ومن هنا شاعت قصة إهداء الجاحظ نسخة منه لمكتبة الوزير ابن الزيات، فقال له: أظننت مكتبتنا تخلو منه؟ فقال: (ما ظننت ذلك، ولكنها نسخة بخط الفراء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر، يريد نفسه) فقال: هذه أجل نسخة توجد. ولم تكن شواهده الشعرية منسوبة، فقام أبو عمر الجرمي بنسبتها إلى قائليها، وعجز عن نسبة خمسين منها، وعددها ١٠٥٠ شاهداً .

انتقده المبرد في (١٣١) مسألة، وقد أطنب أبو حيان التوحيدي بتقريظ شرح شيخه: أبي سعيد السيرافي للكتاب، وكيف حسده عليه أبو علي الفارسي. والسيرافي هذا: والد يوسف: صاحب (شرح أبيات الكتاب) ، ولا ننسى هنا أبا حيان الأندلسي، الذي فارق ابن تيمية بسبب إغلاظه القول في سيبويه، حين قال: (يفشر سيبويه، ما كان نبي النحو ولا كان معصوماً، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً) فسارع أبو حيان إلى ديوانه، وكشط منه قصيدته في مدح ابن تيمية .

وكتاب سِيبويه أول كتاب في النحو والصرف، وكثير من علوم اللغة، جمعت فيه مباحث النحو والصرف، وجُعل لكل مبحث مكان من الكتاب، فالمُراجِع لموضوعات الجزء الأول من طبعة بولاق يتبين له أنّها خاصة بالنحو، فقد ورد فيه الكلمة، والنكرة والمعرفة، والأفعال اللازمة والمتعدية، وأسماء الأفعال،

إلى جانب الفاعل والمبتدأ والخبر، والمنصوبات كالمصادر المنصوبة، والحال والمفعول فيه وإنّ وأخواتها، والنداء والاستثناء، وغيرها .

أمّا موضوعات الجزء الثاني فكلّها أبواب في الصرف عدا بعض جوانب موضوعاته التي تعد من النحو كالممنوع من الصرف الذي افتتح به هذا الجزء. ففي هذا الجزء: النسب والتصغير، ونونا التوكيد، وجمع التكسير، وأوزان المصدر، وصيغ الأفعال، ومعاني الزوائد، واسم الآلة، واسم المكان، والتعجب، والإمالة والوقف، ومخارج الأصوات والإعلال والإدغام .

كثرت في الكتاب الشواهد من القرآن، والقراءات القرآنية والأشعار، وقليل من الحديث، وتناثرت فيه الأمثال وأقوال العرب النثرية بجانب الأمثلة المنشأة لتمثيل القواعد، ويكفي ما لهذا الكتاب من مكانة قول بعضهم فيه: من أراد أن يعمل كتابًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ. وقول السيرافي: وعمل كتابه الذي لم يسبقه إليه أحد قبله، ولم يلحق به من بعده، وكان المبرّد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: هل ركبت البحر، وقال الجرمي: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه .

ومن الثابت ان سيبويه ألف كتابه بعد وفاة الخليل ، وان فيه من علم العربية ما هو لقاح جهود النحاة الذين سبقوه ، ومن الصعب جداً اعطاء وصف دقيق لمنهج سيبويه في الكتاب ، ويبدو انه رتب كتابه ترتيباً واضحاً سار فيه على منهج متسلسل ، ولولا بعض التداخل في بحوث النحو لاستطعنا ان نقول : ان منهجه كان ولا يزال خير منهج يمكن ان يسير عليه التأليف في هذا العلم ، مع انه من اوائل الكتب المؤلفة فيه ، ولم يجر على كتاب سبقه في الترتيب والموضوعات والمنهج .

٢- المقتضب :

لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، المعروف بالمبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ)، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد ، من كتبه (الكامل)

و(المذكر والمؤنث) و(المقتضب) و (التعازى والمراثي) ، و(شرح لامية العرب) مع شرح الزمخشري، و(إعراب القرآن) و(طبقات النحاة البصريين) و(نسب عدنان وقحطان) رسالة، و(المقرب) ، قال الزبيدى في شرح خطبة القاموس: المبرد بفتح الراء المشددة عند الاكثر وبعضهم يكسر .

أنفس مؤلفات المبرد وأنضجها ثمرة، وأقدم ما وصلنا من كتب النحو بعد كتاب سيبويه. كما قال الأستاذ بجامعة الأزهر، محمد عبد الخاق عضيمة، في نشرته النفيسة للكتاب، القاهرة ١٩٦٣م، معتمداً نسخته الفريدة في العالم، وهي التي تحتفظ بها مكتبة كبريلي زاده في الأستانة، وتقع في (١٣٠٣) صفحات، بلا مقدمة ولا خاتمة. وقد كتبت بخط مهلل بن أحمد الأموي سنة ٣٤٧هـ عن نسخة أبي سعيد السيرافي، المكتوبة في ذات السنة. وقد ضم المحقق إلي هذه النشرة ثلاثة كتب، هي:

١- نقد المبرد لسيبويه، وسماه: (مسائل الغلط) ويضم (١٣٢) مسألة، ذكر منها في المقتضب (٣٤) مسألة. ونقل ابن جني اعتذاره عنه بأنه مما ألفه في حداثته.

٢- رد أحمد بن ولاد (٣٣٢هـ) على نقد المبرد.

٣- مختصر تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب، للفارقي (ت ٣٩١هـ) وهمّش مسائل النقد بما يقابلها من كتاب سيبويه. وهي (١٥٥٠) نصاً، فجاء الكتاب عدا الفهارس في (١٤٥٢) صفحة من القطع الكبير، في أربعة مجلدات، وقد وقع فيه تكرير لخمسة أبواب .

ألف المبرد كتابه هذا قبل (الكامل) فلما ألف (الكامل) أحال إليه في كل مرة تحدث فيها عن مسائل اللغة. ويضم (٥٦١) شاهداً، منها في كتاب سيبويه (٣٨٠) شاهداً، ويؤخذ عليه فيه حملتُه الأثيمة على أصحاب القراءات السبع، جرياً على منوال أستاذه المازني في آخر كتابه: (التصريف) ، حيث يسخر من القراء وينبزهم بالغفلة والجهل والتعلق بالألفاظ، فنقل عنه المبرد هذا الباب وأثبته في المقتضب، فكان ذلك سبب خمول الكتاب .

قال الفارقي في شرحه المذكور آنفاً: (لما رأيت توفر الرغبة من الناشئين في زماننا، وحرص المتوسطين من أهل الأدب في عصرنا على النظر في كتاب المقتضب ... وكان أبو العباس رأى أن يقدم في كتابه مسائل تصد من قصد له عن التعرض به، إلا بعد إحكام أصولها من سواه....رأيت أن أقدم لكل مسألة أصلاً يعتمد فيها عليه ... فيسهل على من نظر في كتابنا هذا أن يقرأ الكتاب بعده..إلخ) فرغ الفارقي من كتابه في ربيع الأول سنة ٣٧٢هـ وأهداه لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف. وقد جار فيه على قرائه في استعراض جميع الصور العقلية في كل مسألة، كذكره (١٦٦) صورة لقولهم: (سير بزيد فرسخين يومين) ، و(الأصوات اللغوية عند المبرد في كتابه المقتضب) د. حازم طه: مجلة آداب الرافدين: المجلد ٢٣ ص٥٩ .

٣- المفصل :

ألفه جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ) ، ويمثل مرحلة متطورة في الدرس النحوي ، وقد ثبت لدى الدارسين ان المدة الزمنية التي امتدت بين سيبويه وعصر الزمخشري ، تعتبر العصر الذهبي للدراسات اللغوية ، فقد ثبتت فيها اصول هذه الدراسات وتشعبت مجالاتها ، حتى شملت تقريباً كل شيء يتصل بالكلمة العربية : أصلها ومعناها واصولها وبنيتها ودلالتها واستعمالها مفردة ومركبة .

والزمخشري الذي جاء في آخر هذه المرحلة لم يكن بعيداً عن تقدير حاجة المتعلم الى كتاب ، يقدم علم العربية بصورة عصرية تختلف عن المنهج الذي اختطه سيبويه وسار عليه المبرد ، وهو عصارة فكره النحوي .

٤- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين :

لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري الأنباري المتوفى سنة (٥٧٧هـ)، من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال، كان زاهداً عفيفاً، خشن العيش والملبس، لا يقبل من أحد شيئاً .

سكن بغداد وتوفي فيها، له (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) و(الإغراب في جدل الأعراب) و(أسرار العربية) و(لمعة الأدلة) في علم العربية، و(الإنصاف في مسائل الخلاف) في نحو الكوفيين والبصريين، جزآن، و(البيان في غريب إعراب القرآن) و(عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب فيه بالألف والياء) و(الميزان) في النحو .

انبأ عن طبيعة مادته واتجاهه بين مصنوعاتنا النحوية القديمة ، وصفه مؤلفه في مقدمته بقوله : (فإن جماعة من الفقهاء المتأدّبين، والأدباء المتفقّهين، المشتغلين عليّ بعلم العربية، بالمدرسة النِّظامية – عَمَرَ الله مبانيها! ورحم الله بانيها! سألوني أن ألخص لهم كتابًا لطيفًا، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة؛ ليكون أول كتاب صُنّف في علم العربية على هذا الترتيب، وأُلِّف على هذا الأسلوب؛ لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف، ولا ألف عليه أحد من الخلف ، فتوَخَّيْتُ إجابتهم على وَفْقِ مسألتهم، وتَحَرَّيت إسعافهم لتحقيق طَلِبَتِهم؛ وفتحت في ذلك الطرق، وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف، لا التّعصّب والإسراف، مستجيرًا بالله، مستخيرًا له فيما قصدتُ إليه؛ فالله تعالى ينفع به؛ إنه قريب مجيب) .

وقصارى جهده في هذ الكتاب أنه : امتاز بهدف تعليمي ، ومال الى الجمع والاستقصاء ما استطاع وان فاتته بعض الجوانب في مسائل كثيرة ، فشخصيته في هذا الكتاب شخصية المعلم الذي يجمع الآراء المتناثرة ويعرضها عرضاً جدلياً ، يقربها الى الطالب ، فيبدأ بذكر رأي الكوفيين ثم رأي البصريين يعرض

حجج كل منهما ثم يرد على الفريق الذي لا يرى ان الحق بجانبه ، فهو لم يوافق الكوفيين الا في البصريين سبع مسائل من مجموع احدى وعشرين ومائة مسألة .

ثانياً : كتب الصرف

ذهب بعض العلماء الى ان معاذاً بن مسلم الهراء المتوفى سنة (١٨٧هـ) هو واضع علم الصرف ، مع ان كتاب سيبويه حافل بقضايا الصرف ومسائله ، ونرى ذلك بوضوح في جزئه الثاني على وجه الخصوص ، ومباحثه الصرفية الكثيرة مكنت ابا عثمان المازني بعد تجريدها على عمل كتاب مستقل في التصريف ، ليكون اول ما وصل الينا من الكتب التي خصت هذا العلم بتأليف مستقل ، مر البحث الصرفي بثلاث مراحل :

– مرحلة التأسيس : وفيها يتقرر ان نشأته كانت في القرن الاول الهجري في جملة الجهود التي قام بها اللغويون الاوائل في دراسة متن العربية .

– مرحلة التفريع : وفيها تتضح جهود تلامذة أبي الاسود الدؤلي الذين نسب اليهم انهم استقروا اللغة ، فوضعوا ابنية الاسماء والافعال .

– مرحلة الاستقلال : وتدوين هذا العلم في مصنفات خاصة ، وقد نسب الى الخليل كتاب مستقل فيه ، شرحه احد العلماء ونسبت كتب اخرى الى الاخفش والفراء وغيرهم .

١- المنصف :

هذا الكتاب متن وشرح ، أما متنه فكتاب (التصريف) الذي وضعه ابو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني المتوفى سنة (٢٤٨هـ) أو ما بعدها من سنة (٢٤٩هـ) ، وبهذه السنة الاخيرة تأرخت وفاته في كتابه المشار اليه ، وقد الفه في وقت كان فيه علم الصرف قد قطع شوطاً بعيداً من النضج والنمو ،

وانفصلت موضوعاته عن موضوعات علم النحو ، الا انه له الفضل في القيام بتبويب المباحث الصرفية تبويباً علمياً ما دامت الكتب التي سبقت كتابه بعيدة عن ايدينا ، لا نعرف عن مناهجها شيئاً يذكر .

انتهى الينا كتاب التصريف برمته مشروحاً في الاجزاء الثلاثة من كتاب المنصف لابي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة (٣٩٢هـ) ، يتضمن الجزء الاول والثاني منه موضوع الصرف البحت ، ويتضمن الجزء الثالث منه غريب اللغة .

ان الناظر في مادة كتاب المازني يراه مستفيضاً بها مرتباً ومبوباً على منهج سيبويه في كتابه ، فيه عناية بآراء العلماء في اللغة ومفرداتها وتصاريفها وقواعد هذا التصريف واصوله وعلله ، مع الاهتمام بمذاهب العرب في لغاتها وفصيحها وشاذها وغريبها ونادرها ومقيسها ومطردها الى اراء خاصة للمازني في مسائل شتى ومذاهب ومناقشات ومناظرات ، فحين انبرى له ابن جني بالشرح استهل كلامه بقوله : (هذا كتاب أشرح فيه كتاب أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني –رحمه الله– في التصريف، بتمكين أصوله، وتهذيب فصوله، ولا أدع فيه بحول الله وقوته غامضًا إلا شرحته، ولا مشكلًا إلا أوضحته، ولا كثيرًا من الأشباه والنظائر إلا أوردته؛ ليكون هذا الكتاب قائمًا بنفسه، ومتقدمًا في جنسه، فإذا أتيت على آخره، أفردت فيه بابًا لتفسير ما فيه من اللغة الغريبة، فإذا فرغت من ذلك الباب أوردت فصلًا من المسائل المشكلة العويصة التي تشحذ الأفكار، وتروض الخواطر، وليس ينبغي أن يتخطى إلى النظر في هذه المسائل من لم يُحكِم الأصول قبلها، فإنه إن هجم عليها غير ناظر فيما قبلها من أصول التصريف الموطئة للفروع، لم يحظ منها بكبير طائل، وصعبت عليه أيما صعوبة، وكان حكمه في ذلك حكم من أراد الصعود إلى قُلة جبل سامق في غير ما سبيل، أو كجازع مفازة لا يهتدي لها بلا دليل. وهذا القبيل من العلم –أعني التصريف– يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به) .

٢- الممتع الكبير في التصريف :

ألف هذا الكتاب الاندلسي أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور المتوفى سنة (٦٦٩هـ) ، ولد بإشبيلية، وتوفي بتونس ، حامل لواء العربية بالأندلس في عصره ، من كتبه «المقرب» المجلد الأول منه، في النحو و«الممتع» بحلب، في التصريف، و«المفتاح» و«الهلال» و«المقنع» في القرويين بفاس و«السالف والعذار» و«شرح الجمل» و«شرح المتنبي» و«سرقات الشعراء» و«شرح الحماسة» .

وعنوان كتابه ليس بعيداً عن حقيقته ، وقد كان ابو حيان محمد بن يوسف النحوي الاندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) لا يفارقه ، وقد اختصره بكتاب اسماه (المبدع الملخص من الممتع) ، قال في مقدمته : (ولما كان كتاب الممتع احسن ما وضع في هذا الفن ترتيباً والخصه تهذيباً ، واجمعه تقسيماً ، واقربه تفهيماً ، قصدنا في هذه الاوراق ذكر ما تضمنته من الاحكام بألخص عبارة وأبدع اشارة ، ليشرف الناظر فيه على معظمه في أقرب زمان) .

وقد القى ابن عصفور في مقدمته الضوء على سبب تأليف هذا الكتاب فقال : (فإني لما رأيت النحويين قد هابوا لغموضه علم التصريف، فتركوا التأليف فيه والتصنيف، إلا القليل منهم فإنهم قد وضعوا فيه ما لا يُبْرِدُ غليلا، ولا يحصل لطالبه مأمولا، لاختلال ترتيبه، وتداخل تبويبه، وضعت في ذلك كتابًا رفعت فيه من علم التصريف شرائعه، وملَّكتُه عاصيَه وطائعَه، وذللته للفهم بحسن الترتيب، وكثرة التهذيب لألفاظه والتقريب، حتى صار معناه إلى القلب أسرع من لفظه إلى السمع، فلما أتيت به على القِدْح، ممتنعًا عن القَدْح، مُشبِهًا للروض في وشي ألوانه، وتَعمُّم أفنانه، وإشراق أنواره، وابتهاج أنجاده وأغواره، والعقد في التئام وصوله، وانتظام فصوله، سميته بـ "الممتع"، ليكون اسمه وَفق معناه، ومترجمًا عن فحواه) ، وذكر أنه ألفه لأبي بكر بن أبي الاصبغ ، وكان هذا شاعراً أديباً ، تولى مدينة رندة الأندلسية ،

واستولى على اشبيلية حتى قتل سنة (٦٣١هـ) ، عني ابن عصفور في هذا الكتاب بجملة مباحث تصريفية جعلها في قسمين بعد المقدمة .

كتب البلاغة والنقد :

أولاً : كتب البلاغة :

لما كانت البلاغة شديدة الصلة بموضوع اعجاز القرآن ، فقد تناولتها كتب الاعجاز خاصة والكتب القرآنية عامة ، ونظراً الى صلتها باللغة والادب والنقد ، فقل ان يخلو من الاشارة الى موضوعاتها كتاب من كتب اللغة او الادب او النقد ، ومن هذه الكتب :

١- كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر :

لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة (٣٩٥هـ) ، وهو كتاب حاول فيه مؤلفه تحقيق هدفين ، احدهما ان يتم في توسع ما بدأه قدامة بن جعفر من بحث صناعة الشعر ونقده ، سالكاً في ذلك مذهب صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، لا مذهب المتكلمين والمتفلسفة كما فعل قدامة ، والثاني الا يقف بالبحث الادبي عند حد الشعر ، وانما يتعداه الى بحث صناعة الكتابة او النثر بصفة عامة ، لأن الأدب ليس شعراً فحسب ، واستهله بمقدمة عن اهمية البلاغة العربية واهدافها ، والسبب الذي حمله على التأليف فيها ، فقال: (أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ- بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحّة النبوة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكّ بيقينها ، وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمنّه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها ، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته، في حسنه

وبراعته، وسلاسته ونصاعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه، وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتمّ به؛ والقارئ المهتدى بهديه، والمتكلّم المشار إليه في حسن مناظرته، وتمام آلته في مجادلته، وشدّة شكيمته فى حجاجه؛ وبالعربي الصّليب والقرشي الصريح ألّا يعرف إعجاز كتاب الله تعالى إلّا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، أو أن يستدلّ عليه بما استدلّ به الجاهل الغبي ، فينبغي من هذه الجهة أن يقدّم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده ..... ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة، ومناقب معروفة؛ منها أنّ صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه، وفرّط فى التماسه، ففاتته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوته، عفّى على جميع محاسنه، وعمّى «٤» سائر فضائله؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيّد، وآخر ردى؛ ولفظ حسن، وآخر قبيح؛ وشعر نادر، وآخر بارد، بان جهله، وظهر نقصه ، وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة، أو ينشئ رسالة- وقد فاته هذا العلم- مزج الصّفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر ، واستعمل الوحشي العكر؛ فجعل نفسه مهزأة للجاهل، وعبرة للعاقل ..... وإذا أراد أيضا تصنيف كلام منثور، أو تأليف شعر منظوم، وتخطّى هذا العلم ساء اختياره له، وقبحت آثاره فيه؛ فأخذ الرديء المرذول، وترك الجيد المقبول، فدلّ على قصور فهمه، وتأخّر معرفته وعلمه) .

ويتضح من هذا ان غاية ما ترمي اليه دراسة البلاغة عند معظم البلاغيين معرفة اعجاز القرآن الكريم وبيان سر هذا الاعجاز، وهو غرض ديني بحت ، الى جانب هدفين آخرين ، الاول نقدي قوامه معرفة الكلام الجيد من الرديئ ، والثاني تعليمي تستخدم فيه البلاغة في انشاء الادب شعراً ونثراً ، وهذه الغايات لا تكاد تخلو منها مقدمة من مقدمات كتب البلاغة العربية ، ولا سيما الكتب التي تبحث في اعجاز القرآن .

والعسكري لا ينكر فضل من سبقه الى البحث في بعض فنون البديع كعبد الله بن المعتز وقدامة بن جعفر ، ويشير الى انه زاد عليهم في ذكر ستة فنون منها ، ومن حسناته انه نبه على امر مهم ، وقد رأى اساليب علماء المنطق والكلام طاغية على افكار القوم واساليبهم في القرن الرابع الهجري ، فأشار

الى مخالفة هذه الاساليب بطبيعتها لأساليب البلاغة العربية الاصيلة ، فوقف في آخر الفصل الاول من الباب الاول ليقول: (وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلّمين، وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب) ، فعني عناية جيدة بالأمثلة والشواهد معتمداً على ذوق مرهف وحس جمالي مقتدر .

٢- كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة :

لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار المتوفى سنة (٤٧١هـ) ، وُلِدَ وتوفي في جرجان، تتلمذ على أبي الحسين بن عبد الوارث، ابن أخت أبي علي الفارسي، وكان يحكي عنه كثيرًا، لأنه لم يلق شيخًا مشهورًا في العربية غيره لعدم خروجه من جرجان في طلب العلم .

ويُعد عبد القاهر واحدًا من الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي، إذ تقف مؤلفاته شامخة حتى اليوم أمام أحدث الدراسات اللغوية، ويُعد كتابه دلائل الإعجاز قمة تلك المؤلفات؛ حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عُرفت باسم نظرية التعليق أو نظرية النظم، التي سبق بها عصره، ومازالت تبهر الباحثين المعاصرين، وتقف نداً قويًا لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث .

أراد عبد القاهر بكتابه دلائل الإعجاز أن يرد على من كانوا يرجعون إعجاز القرآن إلى الألفاظ، ورفض أن يكون الإعجاز راجعًا إلى المفردات أو حتى معانيها؛ أو جريانها وسهولتها وعذوبتها وعدم ثقلها على الألسنة، كما رفض أن يكون الإعجاز راجعًا إلى الاستعارات أو المجازات أو الفواصل أو الإيجاز، وإنما رد إعجاز القرآن إلى حسن النظم. ومجمل نظريته أنه لا اعتداد بمعاني الكلمات المفردة إن لم تنتظم في سياق تركيبي، وهو ما يعرف بالنحو، فهو يرى أن الدلالة المعجمية معروفة لمعظم أهل اللغة ولكن دلالة اللفظة التي تكتسبها خلال نظمها في سياق تركيبي هي التي يسعى إليها مستخدم اللغة، لاختلاف

دلالة اللفظة تبعًا للتركيب النحوي الذي تنتظم فيه، والمواضع المختلفة التي تحتلها في السياقات الناتجة عن أصل سياقي واحد .

حذق عبد القاهر الثقافة العربية الإسلامية التي كانت سائدة في عصره، مثل علوم القرآن الكريم وما دارت حوله من مباحث ودراسات، وأتقن الفقه الشافعي وبرع في فلسفة المذهب الأشعري، وألم بالدراسات المنطقية على نحو ما تكشف عن ذلك تقسيماته ودراساته في أسرار البلاغة ومجادلاته في دلائل الإعجاز.

وقد كان عبد القاهر على معرفة تامة بلغات متعددة غير العربية؛ فقد عرف الفارسية والتركية والهندية، وبرع في اللغة الهندية إلى الحد الذي جعله يكتشف استفادة بعض شعراء العرب من لغة الهنود وأفكارهم .

تصدر عبد القاهر مجالس جرجان يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه، وقصده طلاب العلم من كُلِّ صوب، ومن تلامذته المشهورين الواردين إلى العراق والمتصدرين ببغداد على بن زيد الفصيحي، وأبو زكريا التبريزي، والإمام أبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني وأبو النصر أحمد بن محمد الشجري، انتقل إلى عبد القاهر علم السابقين فتأثر به، وظهر ذلك جليًا في مؤلفاته مثل : المغني والمقتصد؛ الإيجاز؛ التكملة؛ التذكرة؛ المفتاح؛ الجمل؛ العوامل المائة؛ النحو؛ التخليص؛ العمدة في التصريف؛ كتاب شرح الفاتحة؛ إعجاز القرآن الصغير؛ إعجاز القرآن الكبير؛ الرسالة الشافية؛ دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة .

اشتهر الجرجاني بكتابين اثنين من مصنفاته القيمة ، كتاب دلائل الإعجاز الذي وضع فيه نظرية علم المعاني ، وكتاب أسرار البلاغة الذي وضع فيه نظرية علم البيان ، وهو بهما يعد بحق واضع اسس

البلاغة العربية والموضح لمشكلاتها ، والذي على نهجه سار رجال البلاغة من بعده ، وأتموا البنيان الذي رسم حدوده ومعالمه ، وأرسى قواعده وأركانه .

ترجح اسبقية دلائل الإعجاز على اسرار البلاغة ؛ لأن الجرجاني كان في اول امره معنياً بالدراسات القرآنية ، وكانت مسألة اعجاز القران تشغله كثيراً ، والباحث في بلاغته لا بد ان يبدأ بهذا الكتاب ، ليعرف معالم نظرية النظم التي بنى عليها بحوثه البلاغية ، وعدت له في هذه الايام مأثرة من المآثر النقدية والبلاغية المهمة .

اشار الجرجاني في مقدمة الكتاب الى منزلة العلم بين الفضائل ؛ لأنه حقها بالتقديم وأسبقها الى استيجاب التعظيم ، ثم خص علم البيان من بين فروع العلم بقوله: (ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان) ، وبين وجه الغلط في فهم معنى البلاغة والفصاحة ، وان الامر ليس من جهة النقص في اللغة ، او الصفات الصوتية للمتكلم ، وانما هناك دقائق واسرار لا بد في معرفتها من الروية والفكر ، وبهذه الدقائق يتفاضل الكلام ، وبها يدرك اعجاز القرآن .

وكتاب أسرار البلاغة أشهر تآليف الإمام الجرجاني وأجلها، قال السيد محمد رشيد رضا: (وهذا الكتاب يفضل جميع ما بين أيدينا من كتب هذا الفن، لأنها تقتصر على سرد القواعد والأحكام بعبارات اصطلاحية تنكرها بلاغة الأساليب العربية) ويتابع قوله في مقدمته لطبعته الأولى للكتاب سنة ١٩٠٢م: (ولما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥هـ لإنشاء المنار ألفيت الأستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مشتغلاً في بعض وقته بتصحيح كتاب (دلائل الإعجاز) للإمام الجرجاني، وقد استحضر نسخه من المدينة المنورة وبغداد ليقابلها على النسخة التي عنده، فسألته عن كتاب (أسرار البلاغة) للإمام المذكور، فقال: إنه لا يوجد في هذه الديار، فأخبرته بأن في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه، فحثني على استحضارها وطبعها، فطلبتها من صديقي الحميم عبد القادر أفندي المغربي، وعلمنا أن نسخة أخرى منه

في إحدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية، فندبنا بعض طلاب العلم الأذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة ...) ولما فرغ من طباعة الكتاب سارع محمد عبده لتقريره في منهاج الأزهر، وتولى هو مهمة تدريسه .

يعتبر الجرجاني بهذا الكتاب عند كثير من الباحثين واضع نظرية النظم، وملخصها: أن جمال البلاغة ليس في اللفظ ولا في المعنى، وإنما في نظم الكلام، أي الأسلوب، وبناء الجملة، ومواقع الإيجاز والإطناب، وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، كما يعتبر (أساس البلاغة) بمثابة المقدمة المنهجية لكتاب الجرجاني التطبيقي (دلائل الإعجاز) ، وقد تأثر الجرجاني في كتابه هذا بأسلوب الجاحظ، وكان يردد أقواله بإعجاب، ويستشهد بها في زهو وثقة.

يتابع الجرجاني في هذا الكتاب عمله البلاغي الرائع في الكتاب الاول ، فبين في اوله فضل الكلام ومزية البيان ، ثم ينطلق ليؤكد ما سبق ان عالجه في الدلائل من ان يوصف به الكلام ليس في حقيقته وصفاً للألفاظ المفردة .

٣- الايضاح في علوم البلاغة :

للخطيب أبي المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، القزويني الشافعي المتوفى سنة (٧٣٩هـ)، المعروف بخطيب دمشق ، من أحفاد أبي دلف العجلي: قاض، من أدباء الفقهاء ، أصله من قزوين، ومولده بالموصل ، ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧ هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفي ، من كتبه (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، و(الإيضاح) في شرح التلخيص، و(السور المرجاني من شعر الإرجاني)، كان حلو العبارة، أديباً بالعربية والتركية والفارسية، سمحاً، كثير الفضائل .

وهو الكتاب الذي يعول عليه الدرس البلاغي كثيراً حتى هذه الايام ؛ لطريقته المدرسية وشموله وتنسيقه ، ألفه القزويني وقد رأى في كتابه التلخيص غموضاً وتعقيداً ، وان فيه ايجازاً والتواء ، فوضع

الايضاح شرحاً يحل مشكلة ، ويوضح غامضة ، وقال في مقدمته: (أما بعد: فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها، ترجمته بـ"الإيضاح" وجعلته علي ترتيب مختصري الذي سميته تلخيص المفتاح. وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصلت معانيه المجملة وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر، مما تضمنه "مفتاح العلوم"، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله – في كتابيه: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما، فاستخرجت زبدة ذلك كله، وهذبتها ورتبتها، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري، فجاء بحمد الله جامعًا لأشتات هذا العلم) .

ان منهج القزويني في الايضاح لا يختلف عن منهجه في التلخيص ، وان كان يختلف عنه في العرض والتحليل اختلافاً قليلاً ، والمؤلف فيه يجمع بين طريقتي عبد القاهر والسكاكي في البلاغة ، ويناقشهما ويرد عليهما في كثير من المواضع ، ويمتاز بجودة اسلوبه غير متكلف ولا مسرف في الصيغة ، وغير ملتو التواء الاعاجم في التعبير ، واستطراده الى المحسنات المعنوية مادة جديدة ، كان قد اغفل ذكرها في التلخيص ، وايضاحه بعد اهم شروح التلخيص ، واروع كتب مدرسة البلاغة الكلامية ، وان كانت المصطلحات العلمية والعبارات الفلسفية والبحوث والتقسيمات النظرية تؤوده وتضفي عليه ظلالاً ثقيلة ، بيد انه خلاصة بحوث علماء البلاغة العربية منذ نشأتها حتى عصره .

وكتابه من أشهر ما ألف من الشروح حول كتاب (مفتاح العلوم) ، ويضم (٧١١) شاهداً شعرياً في (٣٠٥) فصول، من فصول البلاغة. وضعه قاضي مصر وخطيب دمشق: الجلال القزويني (ت٧٣٩هـ) ليكون شرحاً لكتابه (تلخيص المفتاح) الذي لخصه من القسم الثالث من كتاب (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، وهو القسم الخاص بالبلاغة، وأودع فيه خلاصة أعمال ما ألف في هذا الفن حتى عصره. قال: (وعمدت إلى ما خلا عنه (المفتاح) من كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) رحمه الله في كتابيه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وإلى ما تيسر من كلام غيرهما، فاستخرجت زبدة ذلك

كله، وهذبتها ورتبتها، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري، فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم، وإليه أرغب في أن يجعله نافعاً لمن نظر فيه من أولي الفهم) .

وبناه على ثلاثة أقسام: المعاني، والبيان، والبديع. وختمه بباب في السرقات الشعرية. ويضم قسم المعاني: أحوال إسناد الخبر، ومتعلقات الفعل، والقول في القصر والإنشاء، والوصل والفصل، والإيجاز والإطناب والمساواة. ويضم قسم البيان: فنون التشبيه، والحقيقة والمجاز، والاستعارة وأنواعها، والحذف والزيادة، وفن الكناية. ويضم قسم البديع: مختلف المحسنات المعنوية، كالطباق، والتفويف، والإرصاد، والمشاكلة، والاستطراد، والمزاوجة، والعكس والتبديل، والتورية، والجمع والتفريق، والتقسيم، والتجريد، والمبالغة والتبليغ، والمذهب الكلامي، وحسن التعليل إلخ. والمحسنات اللفظية: كالجناس، وما يلحق به، والسجع وضروبه، والتصريع، والموازنة، والقلب، والتشريع، ولزوم ما لا يلزم. طبع الكتاب طبعات كثيرة، منها طبعة د. محمد عبد المنعم خفاجي: الطبعة الأولى ١٩٤٩م .

ثانياً : كتب النقد

١- عيار الشعر

أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي المتوفى سنة (٣٢٢هـ)، شاعر مفلق وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان ، له كتب، منها «عيار الشعر» و«تهذيب الطبع» و«العروض» قيل: لم يسبق إلى مثله ، وأكثر شعره في الغزل والآداب .

من الكتب النقدية التي اثرت الدرس النقدي ، وامدته بالنظرات العلمية القيمة في مجال تقويم الشعر والحكم عليه ، خاطب المؤلف به أحد سائليه قائلاً في مقدمته: (فهمت – حاطك الله – ما سألت أن أصفه لك من علم الشعر، والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه، وتقريب ذلك على فهمك، والتأني لتيسير ما عسر منه عليك. وأنا مبين ما سألت عنه، وفاتح ما استغلق عليك منه) ، فبدأ كلامه بفصل عن

الشعر وأدواته ، منها التوسع في علم اللغة والرواية للآداب ، والمعرفة بأيام الناس وانسابهم ومناقبهم ومثالبهم ، والوقوف على ما قالته العرب فيه ، وانتهى الى تقرير مبدأ عام قوامه أن :(جماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد، ولزوم العدل، وإيثار الحسن، واجتناب القبيح، ووضع الأشياء مواضعها) ، وعنده في تقرير قيمة الشعر علل تستوجب استحسانه وهي قبول الفهم له ، وموافقته للحال وصدق عبارته في امور اخرى ، تمثل لنا وجهة نظر خاصة ، تضاف الى حشد حاشد من نظرات نقدية ، تناول بعضها الابيات المتفاوتة النسج ، وختم كتابه بفصل عن تأليف الشعر ، قال في صدره: (وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه فينسي السامع المعنى الذي يسوق القول إليه. كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها. ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه) .

والكتاب أعمق كتب نقد الشعر في عصره توغلاً في البحث عن أسراره ودقائقه ، صنف ابن طباطبا كتابه هذا ليكون كالنبراس والدليل، أو بمثابة المحك لمختاراته الشعرية التي أودعها في كتابه الضخم (تهذيب الطبع) .

٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه :

للقاضي علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني المتوفى سنة (٣٩٢هـ)، عالم موسوعيٌّ وأديب ناقد من أعلام القرن الرابع للهجرة، ولد بجرجان ونشأ بها وتلقى تعليمه الأول فيها، ثم رحل بصحبة أخيه إلى نيسابور لطلب العلم وهو لم يبلغ الحلم. ويبدو أن تعليمه في نيسابور أشعل فيه جذوة الشغف بالعلم، فأكثر الرحيل في طلبه، فرحل إلى العراق والشام وغيرهما.

اتصل بالصاحب بن عبّاد الذي كان وزيرًا لبني بويه، فاختص به ومكث عنده، وبلغ من المكانة عنده درجة عالية، فولاه قضاء جُرجان، ثم ولاه القضاء بالرِّيّ، حيث يقيم الصاحب بن عبَّاد، ثم ارتقى به إلى رئاسة القضاء، واستمر في هذا المنصب إلى وفاته .

يشير تقلده منصب القضاء إلى معرفته بالعلوم الإسلامية الواسعة، وهذا واضح فيما ينسب إليه من مؤلفات كتفسير القرآن المجيد، وكتاب في الدلالة، كما تظهر معرفته بالتاريخ من تأليفه كتابًا في الأنساب وآخر في السيرة سماه تهذيب التاريخ .

لكن شهرة القاضي الجرجاني واستمراره مؤثراً على مر العصور لا تعود إلى هذين الحقلين من المعرفة، وإنما تعود إلى معرفته الأدبية والنقدية بما روي له من شعر، حتى تحدث مترجموه عن ديوان له، وبمؤلفه عن المتنبي خاصة وهو كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه .

ظهر مؤلفه الوساطة بين المتنبي وخصومه وقت أن كان الخلاف حول المتنبي شديدًا، فمن النقاد من يبجله، ويرتفع به، ومنهم من يراه شاعرًا عاديًا بل ضعيفًا يقع في أخطاء، لا يقع فيها الناشئة من الشعراء، فجعل الجرجاني مهمته إحقاق الحق في المتنبي والدفاع عنه، وقام كتابه على افتراض أن المتنبي شاعر كسائر الشعراء يخطئ ويصيب، لكن علينا أن نغفر سيئاته لحسناته، وألا نجعل السيئات تُذْهِب الحسنات، مستفيدًا من معرفته بالتراث النقدي، فجوانب السلب عند بعض الشعراء الجاهليين، مثلا، لم تجعل النقاد يغفلون جوانب الجودة عندهم.

فالوساطة كتاب في النقد التطبيقي، وإن لم يخلُ أيضًا من معالجة بعض القضايا النظرية مثل مفهوم الشعر وأدواته، وتمثله لعمود الشعر، ورأيه في العلاقة بين الدين والشعر، وفي السرقات الشعرية والمقاييس النقدية وجدواها ،ويقف مؤرخو النقد عند رأيه في هذه القضايا، ويميزونه عن آراء غيره من السابقين أو المعاصرين له، وكتاب الوساطة مطبوع متداول .

وكتاب الوساطة كتاب جليل، غزير المادة، صدره الجرجاني بمقدمة تحليلية لجيد الشعر ومرذوله، في دواوين القدماء والمحدثين، وجعلها مدخلاً لوساطته بين خصوم المتنبي ومحبيه، وهو من معاصري المتنبي، مولده قبل المتنبي بـ ١٣سنة ووفاته بعده بـ١٢سنة، وقد نافح فيه عن المتنبي ورد به على الصاحب ابن عباد، وكان من ندمائه، فلم تمنعه صلته به عن الانتصار للمتنبي .

قال الثعالبي في اليتيمة: (ولما عمل الصاحب ابن عباد رسالته المعروفة في إظهار مساوي المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتابه (الواسطة بين المتنبي وخصومه) فأحسن وأبدع، وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبحره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور: أيا قاضياً قد دنت كتبه وإن أصبحت داره شاحطه كتاب الوساطة في حسنه لعقد معاليك كالواسطه .

قال صاحب كشف الظنون: (أما القاضي أبو الحسن فأنه ادّعى التوسط بين خصوم المتنبي ومحبيه، وذكر أن قوماً مالوا إليه حتى فضلوه في الشعر على جميع أهل زمانه، وقوماً لم يعدوه من الشعراء وازدروه غاية الازدراء، حتى قالوا إنه لا ينطق إلا بالهوى، ولم يتكلم إلا بالكلمة العوراء، ومعانيه كلها مسروقة، فتوسط بين الخصمين وذكر الحق من القولين) ، وهو في حديثه يراوح في الفصل الواحد بين الخصوم والمتعصبين، كاشفاً للخصوم عن محاسن المتنبي ومعجزاته، ملوحاً للمتعصبين بعثراته وسقطاته، وكلا الفرقين كما يقول إما ظالم له أو للأدب فيه. طبع الكتاب مرات عديدة، منها طبعة أحمد عارف الزين، صيدا ١٣٣١هـ ومطبعة البابي الحلبي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، نوفمبر ١٩٦٦م وللدكتور السيد فضل (تراثنا النقدي: دراسة في كتاب الوساطة) يناير ١٩٨٧ .

تعتبر الوساطة من أهم كتب النقد في القرن الرابع الهجري ، لسببين أولهما : أنها تتصل بشاعر من اكبر شعراء هذا القرن ، بل انه اكبر شعرائه دون منازع ، ومن ابعد شعراء العربية ذكراً واذيعهم شهرة ،

وثانيهما : ان القاضي الجرجاني كان موضوعياً ، حاول ان يناقش كثيراً من مشكلات النقد بطريقة علمية منهجية ، دون الاعتماد على مجرد التهم واطلاق العيوب ، او التفاخر الكاذب وابراز ما للشاعر مما ليس له وادعاء مفاخر باطلة دون وجه حق .

٣- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :

لمؤلفه الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي: أديب، نقاد، باحث. كان أبوه من موالي الأزد، ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيرواون سنة ٤٠٦هـ ومدح ملكها، واشتهر فيها ، وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إحدى مدنها، إلى أن توفي سنة (٤٥٦هـ) .

من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) و(قراضة الذهب) في النقد، و(الشذوذ في اللغة) و(أنموذج الزمان في شعراء القيروان) و(ديوان شعره) و(ميزان العمل في تاريخ الدول) و(شرح موطأ مالك) و(الروضة الموشية في شعراء المهدية) و(تاريخ القيروان) و(المساوي) في السرقات الشعرية، وجمع الدكتور عبد الرحمن ياغي، ما ظفر به من شعره في (ديوان) ببيروت .

أشهر تآليف ابن رشيق القيرواني التي تنيف على ثلاثين كتاباً، وهو الكتاب الذي خلد اسمه وشهره من بين آثاره، وقد أراد له أن يكون موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته وعلومه ونقده وأغراضه، والبلاغة وفنونها، وما لابد للأديب من معرفته من أصول علم الأنساب، وأيام العرب، وملوكها وخيولها وبلدانها، وفيه ٥٩ باباً في فصول الشعر وأبوابه، و٣٩ باباً في البلاغة وعلومها و ٩ أبواب في فنون شتى. ومن أبوابه الممتعة باب سرقة الشعر وأنواعها: كالسلخ والاصطراف والانتحال والإغارة والغصب والمرادفة والاهتدام والإلمام والاختلاس والموارد .

قال ابن خلدون: (وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها، ولم يَكتب فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله) ومن نوادره فيه نقولاته عن كتاب (المنصف) في سرقات المتنبي لابن وكيع التنيسي

(ت٣٩٣هـ) ، ألف ابن رشيق كتابه ما بين سنة ٤١٢هـ و٤٢٥هـ وأهداه لأبي الحسن ابن أبي الرجال الشيباني مربي المعز بن باديس ورئيس ديوان كتّابه الذين كان منهم ابن رشيق. ورجع فيه إلى ما ينيف على الثلاثين كتاباً غير الدواوين، منها كتب ضاعت بتمامها كطبقات الشعراء لدعبل، والأنواء للزجاجي، أو ضاع قسم منها كالمنصف لابن وكيع والممتع للنهشلي .

عالج ابن رشيق في هذا الكتاب كثيراً من الموضوعات الادبية والقضايا النقدية ، كبيان فضل الشعر والرد على من يكرهه وشرح موقف الاسلام منه ، وبيان منافعه ومضاره ، وعرض فيه للقدماء والمحدثين من الشعراء ، وللمكثرين والمقلين منهم .

قسم ابن رشيق كتابه هذا قسمين كبيرين ، أحدهما دراسة عامة حول الشعر وفنونه وموضوعاته ، ويصح أن نقول: انه عرض في هذا القسم للشعر باعتباره علماً وديواناً للعرب وصواناً لحكمتهم ، وتناول في الثاني بناؤه والفاظه وأساليبه ومعانيه وأوزانه وقوافيه باعتباره فناً ، مع تفصيل القول في البديع وأقسامه والسرقات وأبوابها ، ليختم عمله بباب لاحق يتحدث فيه عن أيام العرب .

كتب الأمثال :

نشطت حركة التأليف في الأمثال في أوائل العصر الاموي ، ورصد بعض الدارسين أسماء الاعلام الذين ألفوا فيها ، فاجتمعت لديه طائفة كبيرة ، تبلغ (٤٦) رجلاً حتى اخريات القرن السادس ، ويعد كتاب المفضل الضبي المتوفى سنة (١٧٨هـ) (أمثال العرب) أقدم كتاب وصل الينا ، وقد أعطانا المؤلفون تقويماً لقيمة المثل العربي ، فذكر الزمخشري أن الأمثال: (هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها، وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الإفصاح) .

ويتضح من هذا أن المثل في وعائه اللغوي البليغ يكثف حادثة من الحوادث تكثيفاً عميقاً ، ويماثل بين حادثتين من الحوادث ، فيرمز الى اللاحقة بما يجعلها صورة متجددة من السابقة ؛ لأنه في أصله اللغوي عند العرب بمعنى : النظير ، ومن أهم هذه الكتب :

١- جمهرة الأمثال :

يعد هذ الكتاب أصلاً من أصول كتب الأدب، بما حوى من أمثال عربية أصيلة، وأخبار عن العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وبما اشتمل عليه من لغويات وشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام العرب الاوائل شعراً ونثراً ، ثم هو كذلك أطول كتب الامثال نفساً ، وأوفاها شرحاً ، مشتملاً على مواردها ومضاربها ، وتفسير ما ورد فيها من غريب الالفاظ ، ألفه أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة (٣٩٥هـ) .

رتبه مؤلفه على حروف المعجم، وضم إليه من كتاب (الدرة الفاخرة في الأمثال التي على وزن أفعل) لحمزة الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٠هـ ما كان منها عربياً صحيحاً، قال: (ونفيت المولد السقيم ليتبرأ كتابي من العيب الذي لزم كتاب حمزة فصارت العلماء تلغيه، وتسقطه وتنفيه) ، وافتتحه بقوله: (إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان، بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس وحلاوة في الصدور) .

يضم الكتاب زهاء ألفي مثل، شرحت شرحاً مستفيضاً، عدا مئات الأمثال التي وردت في صدد الشرح، وأشار إليها أبو هلال بالحرف (م) لتمييزها، وهي كذلك في النسخة المطبوعة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش (القاهرة ١٩٦٤م) باعتماد نسختين، هما نسخة مكتبة كوبريلي بالأستانة، وقد كتبت سنة ٥٨٥هـ، ونسخة: دار الكتب المصرية، وهي نسخة خزائنية كتبت لأمير

المسلمين الناصر الزيدي في صنعاء سنة ٧٩٢هـ وفي خاتمتها أنها قوبلت ببعض النسخ وأثبتت فروق المقابلة في الحواشي سنة ٨١٦هـ.

٢- المستقصى في أمثال العرب :

قدم الزمخشري الى المكتبة المثلية كتاباً جليلاً ، يعد من أوعب ما ألف فيها وأحسنه تبويباً ، إذ توفر في كتابه المستقصى بجزئيه على (٣٤٦١) مثلاً ، واستقصى العدد الاعلى من الامثال العربية المعروفة ، ووضعه على نظام يختلف بعض الاختلاف عن نظام الجمهرة ، ولكنه لا يخرج عليه خروجاً كبيراً ، وهو من مشاهير كتب الأمثال .

شرع الزمخشري في تأليف المستقصى بعد رجوعه من مكة ، وأتمه في سنة ٤٩٩هـ، فكان ان قصد الى الامثال يجمع منها غاية ما يعرف ، تقديراً لمنزلتها في دراسة اللغة العربية وذيوعها وانتشارها على ألسنة الناس ، فذكر أنها (ولأمر ما سبقت أراعيل الرياح، وتركتها كالراسفة في القيود بتدارك سيرها في البلاد مصعدة ومصوبة، واختراقها الآفاق مشرقة ومغربة، حتى شبهوا بها كل سائر أمعنوا في وصفه، وشارد لم يألوا في نعته) ، فقيدها في هذا الكتاب المستصفى .

كشف الزمخشري عن منهجه في هذا التقييد فقال: (بوبتها فأوردت ما في أوله الهمز، ثم قفيت على أثره بما في أوله الباء وهلم جرا إلى منتهى أبواب الكتاب، وفصلت كل باب فقدمت في باب الهمز إياه مع الألف عليه مع الباء، وفي باب الباء إياها مع الألف على السائر وهلم جرا إلى منتهى فصول الأبواب؛ وقد استمررت على مراعاة هذا النمط في أوساط الكلم وأواخرها، ومتى تساوت صدور الأمثال وجاءت شرعا لا يدلى بعضها بفضل التقدم على بعض عدلت بالنظر إلى أعجازها فقدمت الأحق فالأحق، وكل كلمة وجدتها متكررة سطرتها كرة واحدة ثم لم أتعرض لها في سائر مواقعها إلى أن انتهيت إلى أختها التي تطأ؛ عقبها إلا إذا استكره ذلك وغمض، وقد عنيت في شرحها بإيراد قصصها، وذكر النكت والروايات فيها، والكشف عن معانيها والإنباه على مضاربها، والتقاط أبيات الشواهد لها، على أنى اشترطت تحري

الاختصار وتجريد الألفاظ عن الفضلات التي يستغنى عنها في حط اللثام عن وجه المعنى، ولارتفاع الكتاب محيطا بهذه النعوت كلها سميته " المستقصى في أمثال العرب ") .

٣- مجمع الأمثال :

يكاد يكون هذا الكتاب أكثر كتب الامثال تداولاً وشهرة بين القراء ، فهو مبذول في طبعات متعددة ، يكثر وجودها في المكتبات الخاصة والعامة ، ألفه أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري المتوفى سنة (٥١٨هـ)، الأديب البحاث، صاحب (مجمع الأمثال) لم يؤلف مثله في موضوعه، ولد الميداني ونشأ وتوفي في نيسابور (حاضرة خراسان) ونسبته إلى (ميدان زياد) محلة فيها ، ومن كتبه (نزهة الطرف في علم الصرف) و(السامي في الأسامي) في اللغة، و(الهادي للشادي) نحو، و(شرح المفضليات) .

والكتاب أشهر كتب الأمثال وأفضلها حُسن تأليفٍ وبسط عبارةٍ وكثرة فائدة، ويضم ستة آلاف مثل ونيفاً، بما في ذلك أقوال المولدين، أما الأرقام المضافة إلى النسخة المطبوعة والتي بلغت ٤٧٦٥ مثلاً فذلك بإسقاط الترقيم عن أقوال المولدين، وختمه بفصلين، أحصى في الأول أيام العرب والإسلام، وساق في الثاني نبذاً من كلام النبي عليه الصلاة والسلام، وطائفة من كلام خلفائه الراشدين، ويتضح لنا في هذا الكتاب وجه مشرق من مناهج التأليف في التراث العربي ، بدأ بالاستقراء والجمع ، والتزم اسلوباً علمياً في التدوين ، وأردف بملاحق تسد حاجة الدارس والطالب ، مما يتصل بالمادة المثلية اتصالاً ما .

قال ابن خلكان في ترجمته للميداني: (أتقن فن العربية، خصوصاً اللغة وأمثال العرب، وله فيها المصنفات المفيدة، منها كتاب الأمثال المنسوب إليه، ولم يعلم مثله في بابه)، وترجم له البيهقي في (وشاح الدمية) فقال: (لم يخلق الله تعالى فاضلاً في عهده إلا وهو في مائدة آدابه ضيف، وله بين بابه وداره شتاء وصيف) ، وقد صرح الميداني في مقدمة كتابه أنه ألفه للملك ضياء الدولة أبي علي محمد بن

أرسلان، وبطلب منه، ورجع في تأليفه كما قال إلى أكثر من خمسين كتاباً في الأمثال، نخل ما فيها فصلاً فصلاً وباباً باباً .

مصادر الدراسة الادبية :

دواوين الشعراء والقبائل

لم يكن القرن الاول الهجري بما فيه من الفتوحات الكبرى عصر تدوين للشعر العربي ، بل كان الناس يتناقلون الشعر جيلاً بعد جيل ، وظهر خلال هذا القرن عدد كبير من الشعراء الاسلاميين ، كانت اشعارهم رافداً جديداً ، أثرى ما بين أيدي الناس من كنوز الشعر الجاهلي ، وما أن أطل القرن الثاني الهجري حتى برز عدد كبير من الرواة المعنيين بجمع تلك الاشعار وتدوينها ، سواء كانت لشعراء افراد ام قبائل معينة ، ومن أشهر هؤلاء الرواة ابو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ، وحماد الراوية (ت١٥٥هـ) ، والمفضل الضبي (ت١٦٨هـ) ، وخلف الاحمر (ت١٨٠هـ) ، وابو زيد الانصاري (ت٢١٦هـ) ، والاصمعي (ت٢١٦هـ) .

أولاً : دواوين الشعراء :

لقد دون هؤلاء اشعار الجاهلية والاسلام ، ورووا دواوين اكثر الشعراء الذين يردد الناس اشعارهم ، ولم يتركوا الا من كان مقلاً أو مغموراً ، ونهض الباحثون الى تحقيق كثير مما وصل الينا من دواوين الشعراء القدامى منذ مطلع القرن العشرين ، وزاد الاقبال على عملية التحقيق في السنوات الاخيرة ، بعد ان ادرك الباحثون العرب قيمة التراث الشعري في نهضة العرب العلمية والادبية ، فنشروا مئات الدواوين في اكثر من بلد عربي واجنبي ، ويعد العراق في طليعة البلاد العربية المعنية بهذا الاتجاه .

ولم يكتف المحققون بما وصل الينا من دواوين مخطوطة ، بل عمدوا الى جمع اشعار من لم تصل الينا دواوينهم من الشعراء المعروفين ، ففي العراق وحده صنع المحققون العراقيون في السنوات الاخيرة ما يزيد على مائة ديوان ، لشعراء العصور الادبية المختلفة حتى نهاية العصر العباسي ، وفيما يلي سرد لبعض الدواوين المطبوعة :

دواوين الشعراء الجاهليين :

١- ديوان الاعشى ميمون بن قيس .

٢- ديوان أوس بن حجر .

٣- ديوان بشر بن أبي خازم .

٤- ديوان حاتم الطائي .

٥- ديوان زهير بن أبي سلمى .

٦- ديوان طرفة بن العبد .

دواوين الشعراء المخضرمين :

١- ديوان حميد بن ثور الهلالي .

٢- ديوان الحطيئة .

٣- ديوان حسان بن ثابت .

٤- ديوان الخنساء .

٥- ديوان الشماخ بن ضرار .

٦- ديوان كعب بن زهير .

دواوين الشعراء الامويين :

١- ديوان الاحوص الانصاري .

٢- ديوان الاخطل .

٣- ديوان جرير .

٤- ديوان جميل بثينة .

٥- ديوان ذي الرمة .

٦- ديوان الطرماح بن حكيم .

دواوين الشعراء العباسيين الاوائل :

١- ديوان ابراهيم بن هرمة .

٢- ديوان ابي تمام .

٣- ديوان ابن الدمينة .

٤- ديوان ابن الرومي .

٥- ديوان ابي العتاهية .

٦- ديوان العباس بن الاحنف .

دواوين الشعراء العباسيين المتأخرين :

١- ديوان الابيوردي .

٢- ديوان الارجاني .

٣- ديوان البهاء زهير .

٤- ديوان التلمساني .

٥- ديوان القاضي الفاضل .

٦- ديوان ابن المقرب العيوني .

دواوين الشعراء الاندلسيين :

١- ديوان ابن دراج القسطلي .

٢- ديوان الرصافي البلنسي .

٣- ديوان ابن الزقاق البلنسي .

٤- ديوان ابن زيدون .

٥- ديوان المعتمد بن عباد .

٦- ديوان ابن هانئ الاندلسي .

نشر من دواوين الافراد في حدود ثلاثمائة ديوان من مختلف العصور الادبية حتى آخر العصر العباسي ، وهو عدد ضئيل لا يتناسب مع العدد الضخم الذي ذكره المؤرخون من الشعراء القدامى ، ناهيك عن الشعراء العباسيين وغيرهم .

ثانياً : دواوين القبائل

لم يصنع العلماء دواوين الافراد حسب ، بل عمدوا الى رواية وصنع دواوين القبائل العربية ، التي عرفت بكثرة شعرها وشعرائها أيضاً ، والذي يلفت النظر هذا الحشد الهائل من اسماء دواوين القبائل ، التي ذكرها مؤرخو الادب ، فابن النديم ذكر على سبيل المثال ستة وعشرين من تلك الدواوين مما صنعه ابو سعيد السكري (ت٢٧٥هـ) وحده ، وهذا العدد لا يشمل جميع دواوين القبائل فابن ابي عمر الشيباني يذكر ان اباه وحده جمع اشعار نيف وثمانين قبيلة ، كل قبيلة في ديوان مستقل .

ودواوين القبائل في جوهرها مجموعات شعرية ، تضم بين دفتيها قصائد كاملة ، ومقطعات قصيرة ، وابياتاً متفرقة لشعراء تلك القبيلة ، أو لبعض شعرائها ، وربما ضمت اكثر شعر هؤلاء الشعراء ، بل ربما ضمت جميع شعر الشاعر منهم وديوانه كاملاً ، وقد تضيف الى ذلك من الاخبار والنسب والقصص والاحاديث ما يتصل بالشاعر نفسه ، أو ببعض افراد قبيلته ، مما يوضح مناسبات القصائد ، ويفسر بعض ابياتها ، ويبين ما فيها من حوادث تاريخية ، فيجيئ كتاب القبيلة بذلك سجلاً لحوادثها ووقائعها ، وديواناً لمفاخرها ومناقبها ، ومعرضاً لشعر شعرائها ، وقد ضاعت جميع دواوين القبائل ، ولم يسلم منها سوى ديوان الهذليين .

الاختيارات :

١- المفضليات :

تعد المفضليات أقدم ما وصل الينا من مختارات الشعر العربي ، اختارها راوية الكوفة ابو العباس المفضل بن محمد بن ابي يعلى الضبي المتوفى سنة (١٦٨هـ) ، وهو أوثق من روى الشعر القديم ، روى عنه جمع غفير من علماء العربية ورواتها مثل الكسائي والفراء وابن الاعرابي وابي زيد الانصاري ، وكان ذا خلق رفيع وتدين صادق ، له مؤلفات عديدة ، تعد من بدايات حركة التأليف عند العرب ، وأشهر مصنفاته مختاراته : المفضليات .

روي في اختيار الضبي لهذه المجموعة الشعرية أن الخليفة أبا جعفر المنصور طلب من المفضل الضبي القيام بتأديب ولده المهدي ، وأن يختار له أشعاراً يؤدبه بها ، فاختار هذه المجموعة من الاشعار في حدود سنة ١٥٠هـ ، بيد انه لم يسمها بهذا الاسم ، وإنما سماها باسم يدل على الاشعار المختارة .

ومما يميز هذه المختارات ان قصائدها رويت كاملة ، فلم يعمد المفضل الى الاختيار في الابيات او التفضيل ، وتشمل نصوصها كثيراً من الكلمات المندثرة التي قد لا نجدها في معاجم اللغة ، وهذا مما يزيد ثقتنا بصحتها وتمثيلها لمفردات عصر شعرائها ، فهي وثيقة صادقة للتعبير عن جوانب الحياة العربية قبل الاسلام ، ترسم لنا بيئة العرب الجغرافية ، وتصور كثيراً من عاداتهم ومثلهم .

٢- الأصمعيات :

تعد الأصمعيات ثاني مجموعة مختارة من الشعر القديم بعد المفضليات ، وهي مجموعة من المقطعات والقصائد ، اختارها ورواها الراوية الثقة والعالم اللغوي المعروف ابو سعيد عبد الملك قريب الاصمعي المتوفى سنة (٢١٦هـ) ، بعد ان راق الرشيد صنع أبي جعفر المنصور والمفضل ، فوكل الى الاصمعي تأديب ابنه الامين ، ورغب اليه ان يختار قصائد من عيون الشعر القديم يتعلمها الامين ويؤدب بها ، والاصمعي من ابرز علماء العربية وأدباءها الكبار الحفاظ .

نسج الاصمعي على منوال المفضل في اختياره ، فنالت مختاراته شهرة كبيرة أيضاً ، وان كانت اقل شهرة من المفضليات ، حتى تداخلت بعض قصائدها بقصائد المفضليات ، لجمع الرواة والنساخ في كثير من الاحيان بينهما في كتاب واحد ، ومجموع ابيات هذه القصائد والمقطعات ١٤٣٩ بيتاً .

٣- المعلقات :

وهي مجموعة من أجود وأطول قصائد فحول شعراء ما قبل الاسلام ، عرفت بأسماء مختلفة : المعلقات والمذهبات والسموط والسبع الطوال والمشهورات ، وتسميتها بالمعلقات أكثر شيوعاً من التسميات الاخرى ، وفي تسميتها بالمعلقات خلاف كبير ، ربما يكون اوثقها التعليل القائل : بنفاستها أخذاً من كلمة العلق ، أي النفيس .

أما تسميتها بالمذهبات فلأنها كانت تكتب بمادة الذهب ، أما السموط فجمع سمط ومعناه القلادة ، والخيط ما دام فيه الخرز فهو سمط ، والتسمية قائمة على التشبيه ، ولكونها سبعاً على المشهور سميت بالسبع الطوال ، وأقصر معلقة عدد أبياتها اثنان وستون بيتاً ، أما اسم المشهورات أو القصائد المشهورات ، فلشهرتها بين الناس .

ويجمع المؤرخون على ان راوية الكوفة حماد الراوية المتوفى سنة (١٥٥هـ) أول من جمع هذه القصائد ورواها، وقد لقيت هذه المعلقات عناية كبيرة ، فتوارد العلماء على الاستشهاد بأبياتها وتداولوها بالشرح والتعليق .

كتب الآداب العامة :

شهد القرن الثالث للهجرة بداية حركة نشيطة في التأليف الادبي ، ووضع الادباء العرب كتباً عديدة في فنون الادب المختلفة ، وبرزت أسماء لامعة في دنيا هذا اللون من التأليف ، ولعل ألمع تلك الاسماء الجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ) مؤلف كتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، وابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦هـ) مؤلف كتاب عيون الأخبار ، والمبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ) مؤلف كتاب الكامل في اللغة والادب ، ثم

ابن عبد ربه الاندلسي المتوفى سنة (٣٢٨هـ) مؤلف كتاب العقد الفريد ، والقالي المتوفى سنة (٣٥٦هـ) مؤلف كتاب الأمالي ، وفيما يأتي أهم هذه الكتب :

١- كتاب الحيوان :

مصنف هذا الكتاب الجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ) وهو من أكبر ائمة البيان في العربية ، وأغنى أبناء الامة العربية في التصنيف والتأليف وحب الكتب ، أهدى الجاحظ كتابه الحيوان الى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو أوسع كتاب عربي يبحث في الحيوان باللغة العربية ، وأوسع كتب الجاحظ أيضاً ، وموضوعه ليس الحيوان بالمعنى العلمي الدقيق ، وانما سماه صاحبه كذلك ، فهو كتاب أدب وتاريخ ، وفلسفة وجغرافية ، وطب واجتماع ، يزخر بنصوص هذه العلوم المختلفة شعراً ونثراً وأخباراً وقصصاً ، وهذا يعني أنه كتاب أدب بالمعنى العام لكلمة أدب .

٢- كتاب الكامل في اللغة والادب :

لمؤلفه المبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ) وهو أحد أركان وأصول الأدب التي يحرص ادباء العربية على دراستها ، والكتاب مجموعة مختارة من الآيات والاحاديث والاشعار والخطب والرسائل والاقوال الفصيحة ، وشيئ من التاريخ ، كل ذلك موشح بشروح وآراء نحوية ولغوية نادرة ، تعبر عن ثقافة المبرد وعمله الغزير في مسائل النحو واللغة .

٣- كتاب العقد الفريد :

مؤلف الكتاب ابن عبد ربه المتوفى سنة (٣٢٨هـ) ، من علماء الاندلس وشعرائها المعدودين ، الا انه عرف وشهر بعد تأليفه العقد الفريد ، فقد لازم اسمه في أكثر المصادر التي ترجمت له ، والكتاب عبارة عن مجموعة من الاخبار والقصص ومنتخبات من الخطب والرسائل والامثال ، وقصائد ومقطعات شعرية ، انتخبها المصنف من عشرات المصادر التي اطلع عليها .

لهذا الكتاب قيمة تاريخية وادبية ، فمن الناحية التاريخية نجده قد ضم أخباراً سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ، أما قيمته الادبية فتتجلى فيما فيه من اشعار لا تقل عن عشرة الاف بيت لأكثر من

مائتي شاعر ، مما حفلت به من مجالس واخبار ادبية الى نصوص نثرية جعل لها أبواباً مستقلة كالأمثلة والخطب والتوقيعات والرسائل والنقد الادبي .

كتب التراجم :

فن الترجمة من أقدم فنون الثقافة العربية ، وضع اصوله علماء الحديث ، فصنفوا كتباً تترجم رواة الحديث النبوي من الصحابة والتابعين ، لضبط صدقهم وتوثيق رواياتهم ، ثم اتسع هذا الفن ليشمل تراجم مختلف طبقات المجتمع من الرجال والنساء ، فصنفت كتب في تراجم القراء والمفسرين والفقهاء والصوفية والحفاظ واتباع المذاهب الاسلامية والرواة والعلماء والاطباء والشعراء والادباء والنحاة ، وهنا نعرض لأبرز كتب تراجم الشعراء والادباء والنحاة :

أولاً : تراجم الشعراء

١- طبقات فحول الشعراء :

ألف هذا الكتاب ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي البصري المتوفى سنة (٢٣١هـ) ببغداد ، وكان من أكبر علماء الشعر والاخبار ، ومن أوثق رواة الحديث والاشعار ، وهذا الكتاب أبرز مؤلفاته ، وهو يتكون من مقدمة مسهبة وتراجم للشعراء .

تضمنت المقدمة أراءه في الشعر وروايته ونقده وبعض اموره الاخرى ، أما تراجمه فاقتصر فيها على الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين ، ولم يذكر أحداً من المحدثين ، كما أهمل ذكر المقلين ، مقتصراً على الفحول ، وقال : (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء) .

٢- طبقات الشعراء :

مؤلف هذا الكتاب عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة ، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.

وصنف كتباً، منها «الزهر والرياض» و«البديع» و«الآداب» و«الجامع في الغناء» و«الجوارح والصيد» و«فصول التماثيل» و«حلى الأخبار» و«أشعار الملوك» و«طبقات الشعراء» وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس: آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلوا على صاحب الترجمة، فلقبوه «المرتضي بالله» وبايعوه بالخلافة، فأقام يوما وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه ، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه. وللشعراء مراث كثيرة فيه. وله «ديوان شعر» في جزأين .

ومن أبرز مؤلفاته طبقات الشعراء ، الذي اقتصر فيه على ترجمة الشعراء المحدثين من العباسيين ، مخالفاً من سبقه في ذلك ، الا انه لم يستطع استقصاءهم ، فترك بعضاً ممن كان معروفاً في زمانه ، مثل ابن الرومي وديك الجن وغيرهم .

وعدد الشعراء الذين ترجم لهم (١٢٨) شاعراً وشاعرة ، أولهم ابن هرمة ، وختم تلك التراجم بذكر ست شواعر ، آخرهن فضل الشاعرة ، ومنهجه ان يسبق اسم كل مترجم بكلمة (أخبار) ، فيقول مثلاً : أخبار ابن هرمة وهكذا .

يقوم منهجه على ايجاز واختصار في الاخبار ، واقتصاد في الاشعار الشائعة في عصره ، ومعظم اخبار الكتاب واشعاره مسندة الى رواة ، كانوا يقصدونه في داره ولا يذهب لاحد منهم ، وفيه أكثر من ستين رجلاً ، روى عنهم تلك الاخبار والاشعار .

٣- معجم الشعراء :

مؤلف هذا الكتاب أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المتوفى سنة (٣٧٨هـ وقيل سنة ٣٨٤هـ) ، وهو من أكبر علماء مصنفي عصره ، ومن أبرز كتبه التي وصلت الينا معجم الشعراء ، الذي وصفه ابن النديم بقوله : (ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم بدأ بمن أول اسمه ألف إلى حرف الياء وفيه نحو خمسة آلاف اسم وفيه من شعر كل واحد منهم أبيات فيه يسيرة من مشهور شعره فيه ألف ورقة) ، ووافقه ياقوت على هذا الوصف .

جمع المرزباني في هذا الكتاب أعداداً كبيرة من الشعراء ، بلغ عددهم حوالي خمسة آلاف صنفهم على حسب حروف المعجم ، غير ملتزم بمكان او زمان ، ففيهم الجاهليون والاسلاميون والامويون والعباسيون .

وطريقته في التراجم ان يذكر اسم الشاعر ونسبه ، وقد يحدد عصره ، ثم يورد نتفاً من أخباره وأشعاره ، وهو لا يطيل في منتخباته الشعرية ، وقد يقتصر منها أحياناً على البيت الواحد من الشعر أو الرجز ، أو لا يورد شعراً مطلقاً ، واتبع هذه التراجم بمن غلبت كنيته على اسمه .

ثانياً : تراجم الأدباء

١- الأغاني :

مؤلف كتاب الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى في بغداد سنة (٣٥٦هـ) ، ولد في أصفهان من بلاد فارس ، فنسب اليها ، وهو عربي صميم من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي .

سمى أبو الفرج كتابه الأغاني ؛ لأنه صدره وبدأ فيه بذكر الاصوات المغناة المختارة لهارون الرشيد ، وهي التي كان أمر ابراهيم الموصلي وآخرين من المغنين باختيارها له من الغناء كله ، ثم رفعت الى الواثق بالله ، فأمر اسحق بن ابراهيم بأن يختار له منها ، ما رأى انه أفضل مما كان اختير متقدماً ،

ويبدل ما لم يكن على هذه الصفة بمن هو أعلى منه ، وأولى بالاختيار ، ففعل ذلك ، وأتبع هذه القطعة بما اختاره غير هؤلاء من متقدمي المغنين ، وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني .

ويقال ان الرشيد أمر هؤلاء المغنين ان يختاروا له مائة صوت ، فاختاروها ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها ، ثم أمرهم ان يختاروا منها ثلاثة ففعلوا ، ولذلك بدأ الاصفهاني بالثلاثة المختارة ، ثم استكمل المائة .

ويدل كتاب الاغاني على جهد كبير وعلم واسع ، قال ابو محمد المهلبي : (سألت أبا الفرج في كم جمعت هذا ؟ ، فقال : في خمسين سنة) ، وقد أشاد القدماء ، بهذا الكتاب ، واعجبوا به اعجاباً كبيراً .

ويهمنا من هذا الكتاب تراجم الشعراء ، وهي كثيرة العدد ، قاربت الخمسمائة ترجمة ، لشواعر وشعراء من عصور مختلفة ، ابتداءً من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثالث الهجري .

٢- معجم الأدباء :

مؤلف هذا الكتاب شهاب الدين ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ) ، اشتغل في بداية حياته بنسخ الكتب ثم التجارة بها ، مما اتاح له الخبرة الواسعة والمعرفة الجيدة ، فاتجه الى التصنيف ، وعرف بذلك فيما بعد ، فوضع هذا المعجم الموسوعي الضخم ، وكان اسم المعجم في الاصل : ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، الا انه عرف بمعجم الادباء ، على وجه الاختصار ، وتطابق العنوان مع المحتوى .

دفع ياقوت الى تصنيف هذا المعجم ، شعوره بخلو المكتبة العربية من كتاب جامع لتراجم الادباء ، فقال : (فما زلت منذ غذيت بغرام الأدب، وألهمت حبّ العلم والطلب، مشغوفا بأخبار العلماء، متطلعا إلى أنباء الأدباء، أسائل عن أحوالهم، وأبحث عن نكت أقوالهم بحث المغرم الصبّ، والمحبّ عن الحبّ، وأطوف على مصنّف فيهم يشفي الغليل، ويداوي لوعة العليل، فما وجدت في ذلك تصنيفا شافيا، ولا تأليفا كافيا؛ مع أنّ جماعة من العماء، والأئمة القدماء، أعطوا ذلك نصيبا من عنايتهم وافرا، فلم يكن عن صبح الكفاية سافراً) .

ترجم ياقوت لطائفة كبيرة من علماء العرب والاسلام ، ممن عرف بالادب بمعناه الواسع أو بالتأليف والتصنيف في فنون الادب ، ولكنه استثنى الشعراء الذين لم يعرفوا بالتصنيف في الادب ، يعد هذا المعجم اوسع ما ألف في تراجم الادباء ، رجع فيه ياقوت الى جميع من كتب قبله في تراجمهم ، وأشار الى بعض تلك المصادر في مقدمته ، أما منهجه فهو يحذف اسانيد رواياته واخباره ، الا ما قل رجاله طلباً للاختصار ، غير انه يذكر المصدر الذي اخذ منه ولا يغفله ، ورتب تراجمه على حسب الحروف الهجائية ، غير ناظر الى عصر المترجم او مصره ، واتبع كل حرف بفصل لمن عرف باللقب ، من غير ان يترجم له ، ليكون ذلك دليلاً على معرفة اسمه .

ثانياً : البحث

البحث العلمي مدلوله – خصائصه :

البحث العلمي :

كلمة لها مدلول لغوي عام تعني: طلب الشيء ، وإثارته ، وفحصه ، هذه المعاني كلها مجتمعة تشير بالفعل إلى طبيعة البحث العلمي ، إذ هو طلب لمجهول ، يستدعي إثارة كل ما يمكن أن يمد الباحث بمعلومات مفيدة في مجال البحث ، والتنقيب عنه ، ثم فحص ما تجمع من تلك المعلومات لطرح ما ليس ذا صلة بالبحث المطلوب وإبعاده ، ثم دراسة وتحليل ما تبقى مما له به صلة مباشرة ، أو يساعد على دراسة جانب من جوانبه .

ويُعرِّف العلماء المتخصصون البحث بأنه : عملية علمية تُجمع لها الحقائق والدراسات ، وتُستوفى فيها العناصر المادية والمعنوية حول موضوع معين دقيق في مجال التخصص ، لفحصها وفق مناهج علمية مقررة ، يكون للباحث منها موقف معين ؛ ليتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة ، هذه النتائج هي ثمرة البحث ، والغاية التي ينشدها الباحث من وراء العملية العلمية الفكرية ، سواء كانت نظرية أو تجريبية

، وهي ما يعبر عنها علميّاً بـ"الإضافة الجديدة" المطلوبة في البحوث العلمية العالية ، وهذا شيء مهم جدّاً ، بل هو عنصر أساسي في البحث ؛ ليتطابق الاسم مع المسمى ، والعنوان مع المضمون .

والإضافة الجديدة في البحوث تتخذ صوراً شتى ، فقد تكون أفكاراً جديدة في المجال العلمي ، كما تكون حلاً لمشكلة علمية ، أو بيانًا لغموض علمي ، إلى غير ذلك من الأغراض المطلوبة مما يتفق ومدلول كلمة "البحث العلمي" ، فحينما يحقق العمل العلمي واحداً من هذه الأغراض تتحقق أساسياته ، ويتجلى فيه معناه الحقيقي بأوضح صورة ، ويصدق عليه حينئذ أنه إضافة جديدة للمعرفة ، وفي المقابل ، فإن كثيراً من الأعمال العلمية التي تختلف بطبيعتها عن "البحث العلمي" لا يمكن أن يطلق عليها هذا العنوان ، من ذلك : المؤلفات التقريرية التي لا تتجاوز إعادة الصياغة والتقسيمات ، ما كان جمعاً لمعلومات ووصفاً لها فقط ، الكتاب الدراسي مهما بلغت جودته ، أو أهميته في مجال التدريس ، فليست هذه من قبيل البحث العلمي ؛ لأنها تقرر حقائق معلومة ، وقضايا مسلمة في مجال التخصص ، وجمع المعلومات في البحث العلمي هو جزء منه ، ولكنه ليس هو كل البحث أو الجزء الأهم فيه ، كما لا يعد من البحث أنواع الدراسات الآتية :

١- جمع المعلومات وحدها لا يسهم بجديد إلى المعرفة ، إذا لم يكن ثمة تحليل لها ، أو فحص للأفكار التي تضمنتها .

٢- وصف حالة من الحالات ، أو قضية من القضايا إذا لم يكن توضيحاً لنظرية ، أو أفكار جديدة .

٣- تطوير مشروع علمي يعتمد على معلومات معروفة في مجال التخصص لا يعد في نطاق البحوث العلمية الأصيلة ، إلا في حالات مقارنة النتائج والدراسات .

٤- تطوير طريقة معينة ، أو نظام معين ، ووضعه موضع التنفيذ في مجال من المجالات الاجتماعية ، أو التجارية ، أو الحكومية ، أو الجامعية ، ربما يكون نشاطاً مبتكراً ، ولكن لا ينطبق عليه مفهوم البحث.

٥- ربما يضع الدارس برنامج كمبيوتر لعمل إحصائية تحليلية ، قد يكون هذا مشروعاً جيداً ومفيداً ؛ ولكن لا يمثل بحثاً يستحق به درجة علمية جامعية ، ليس لشيء ، ولكن لأنه يمثل تطوير مشروع لا يضيف للعلم جديداً .

٦- ومن باب أولى ألا تعد المقالات الطويلة أبحاثاً ، وبخاصة إذا كانت تقدم معلومات مسلمة ، فللبحث العلمي طبيعته وخصائصه .

الحجم في البحث العلمي طولاً أو قصراً ليس معياراً من المعايير التي تقاس بها الأبحاث ، أو يحكم عليها من خلاله ؛ ولكنه المضمون ، والخصائص ، والجوانب الفنية التي تصاغ في ضوئها ، وحسب قوانينها .

أما خصائص البحث العلمي ، فأهمها :

أولاً – الموضوعية :

ويقصد منها الباحثون جانبين مهمين ، هما :

أ- حصر الدراسة ، وتكثيف الجُهْد في إطار موضوع البحث ، بعيداً عن الاستطراد ، والخروج عن موضوع البحث إلى نقاط جانبية هامشية ، مما يسبب تشتيت أفكار القارئ ، وهو من قبل هذا جهد يأتي على حساب الموضوع الرئيس ، فيؤثر على مستواه ، في حين أن المفروض الاحتفاظ للبحث بكل مجهود ومساحة على صفحاته .

ب- تجرد الأفكار والأحكام من النزعات الشخصية ، وعدم التحيز مسبقاً لأفكار، أو أشخاص معينين ، فالهدف الأول والأخير من البحث هو التوصل إلى الحقيقة كما هي ، مؤيدة بالأدلة والشواهد ، بعيدة عن المؤثرات الشخصية والخارجية ، التي من شأنها أن تغير الموازين ، ".... وليست أهمية العلوم وعظمتها في الحقائق التي كشفت عنها ، بقدر ما هي كامنة في الطريقة ، وفي الروح العلمية التي تبحث بها الحقائق" .

ثانياً – المنهجية :

نسبة إلى المنهج ، وهو طريقة تنظيم المعلومات ، بحيث يكون عرضها عرضاً منطقيّاً سليماً ، متدرجاً بالقارئ من السهل إلى الصعب ، ومن المعلوم إلى المجهول ، منتقلاً من المسلمات إلى الخلافيات ، متوخياً في كل ذلك انسجام الأفكار وترابطها ، جاء تعريفه بأنه: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة ، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين ، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين" ، " ... إن المهم بالدرجة الأولى من هذا التدريب العلمي فحص خبرة الكاتب ، وقدرته الفنية التي يبرزها ، والتي تظهر من خلال استعماله للمعلومات في موضعها الصحيح" .

ولئن كانت هذه هي أهم خصائص البحث العلمي ومكوناته ، فهناك أمور أخرى مهمة تدل بنفسها على أصالة البحث ، وجودته ، والتزامه المنهج العلمي الصحيح ، " ... فالبحث العلمي يُعرف من العنوان الذي يجمع بين الجدة والدقة والتبويب ، وما بين الفصول والفقر من ترابط وتجانس وتناسب ، والهوامش ، وما هي عليه من إيجاز في الدلالة على المصادر، ثم ما يصحب كل ذلك من فهارس ، وقائمة تامة للمعلومات عن المصادر والمراجع .

وإذا كانت هذه الأمور أدخل بالجانب الشكلي من البحث ، فإن قراءة فقرة هنا وهناك بين المقدمة والخاتمة تؤيد علمية البحث ، إذا وقع القارئ على حسن الرأي ، وجودة المناقشة ، وشخصية الكاتب ، وسيطرته على المادة ، وإعرابه عن كل ذلك في لغة سليمة ، جميلة ، بعيدة عن التطويل والثرثرة ، وكلما زاد في القراءة ازداد قرباً من المؤلف...." .

والبحث العلمي يُقوَّم بمقدار جدواه العلمية والاجتماعية ، وبقدر ظهور شخصية الباحث المتمثلة في أصالة أفكاره ، المبنية على أساس من تفهم المادة العلمية ، ومنهجيته في عرضها ، ومناقشتها بأسلوب علمي هادئ متجرد ، والتزام الجوانب الفنية المطلوبة للبحث ، "فالشيء الأساسي – والذي ينبغي أن

نحفظه دائماً في عقولنا– هو أن الدراسة والبحث ليست مجرد تجميع البيانات والمعلومات والحقائق ... ؛ ولكن تفسير الباحث لهذه الحقائق ، وبيان معانيها ، ووضعها في إطار منطقي مفيد هو الذي يميز التفكير العلمي عن سواه ، فالبحث يتطلب الفكر... ومن هنا كان التفكير الذي يتضمنه البحث هو ما يسمى بالتفكير العلمي النقدي "Critical Thinking" .

الباحث وسماته العلمية :

الباحث : شخص توافرت فيه الاستعدادات الفطرية والنفسية ، بالإضافة إلى الكفاءة العلمية المكتسبة التي تؤهله مجموعة للقيام ببحث علمي ، فالتأهيل العلمي المسبق في مجال البحث ، والتزود من المعارف بقدر كافٍ مطلبٌ أساسي لإيجاد الباحث ، وتكوين شخصيته العلمية .

الباحث الأصيل هو الذي يتطلع إلى المجهول للخروج بالجديد من الأبحاث والأفكار، وهو يبدأ من حيث انتهى السابقون ، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية يبحث عن المصادر الأصلية ، ويركز اهتمامه عليها ، وهو يتميز بالمرونة الفكرية التي تحمله على تقدير أعمال الآخرين ، وتفهم اجتهاداتهم – وإن خالفوه الرأي – في تقدير واحترام ، وإنصافهم – نقلًا لآرائهم ، أو تفسيراً لمواقفهم – دون تحيز أو تحامل.

الباحث هو من له القدرة على تنظيم المعلومات التي يريد نقلها إلى القارئ تنظيماً منطقيّاً له معناه ومدلوله ، مرتباً أفكاره ترتيباً متسلسلاً في أسلوب علمي رصين ، بعيد عن الغموض والإطالة ، فـ"العلم بالشيء وحده لا يُكوِّن باحثاً بالمعنى الحديث ، قد يكون المرء علَّامة في الأدب: أعلامه، عصوره ، شعره ، مصادره ، وفي اللغة نحوها: صرفها ، فقهها ، تاريخها ... ؛ ولكن ذلك لا يعني حتماً أنه يستطيع أن يكتب بحثاً منهجيّاً ، ولا ينفعه مع علمه ما له من صبر وتتبع وحافظة ، وأنه زاول البحث في الكتب والمصادر مراراً ، إنه يبقي حيث هو، والسبب معروف ؛ ذلك أن المقدرة على التنظيم أمر لا يُستهان به ،

ولا يستغنى عنه ، وما كل امرئ بمستطيع تبويب المادة ، وتوحيد أجزائها ، ووضع كل منها في مكانه اللائق به بقدره المناسب ، بعد طرد ما هو تافه وخارج عن الموضوع ، إنك الآن تبني ، وتُكوِّن من موادك الخام عمارة ، ولَا بُدَّ أن تكون مهندساً بارعاً ليجيء عملك متناسقاً مترابطاً متكاملاً من دون زيادة هنا أو نقص من هناك ، ومن دون اضطراب أو تفكك...." .

والأمانة العلمية المتمثلة في نسبة الأفكار والنصوص إلى أصحابها – مهما تضاءلت – هي عنوان شرف الباحث ، بل الشعار الذي يعلنه في كل خطوات البحث ، والصبر على متاعب البحث ومشكلاته رياضة يأخذ بها الباحث نفسه ، تجعل البحث شغله الشاغل في جميع الأوقات ، يبعد بعد الملل عن نفسه ، فمن ثَمَّ تتكشف له جوانب البحث ، وتَتَابع الأفكار، وتنقاد له المعاني ، والتأني لازم من لوازم البحث العلمي ، وصفة جدير أن يتحلى بها الباحث ، حتى يتمكن من تكوين الانطباع السليم ، وتأسيس أحكام وتقديرات صحيحة .

والإخلاص للبحث هو روح العمل العلمي وسر الإبداع ، حيث لا يضن الباحث في سبيل كماله بمال ، أو جهد ، أو وقت ، أو تفكير، هذا كله في الحقيقة مظهر الحب الصادق ، والرغبة الطموح في البحث بشكل عام ، والموضوع الذي وقع عليه الاختيار بشكل خاص ، "فالعلم لا يعطيك خالص الحكمة حتى تعطيه خالص المحبة" .

إن اكتساب القدرة على القيام ببحث علمي منهجي مكتمل الجوانب ليس بالأمر السهل ، ولكن التدريب المتواصل ، والاستعداد الفطري والعلمي ، والإصغاء إلى توجيهات الأساتذة المتخصصين ، كفيلة أن تنمي مواهب الطلاب ، وتضاعف قدراتهم على البحث بصورة مستقلة ، وهو الهدف الأساسي في برامج البحوث في الدراسات العليا بالجامعات .

سمات الباحث العلمي :

لا بد لمن يلج ميدان البحث العلمي أن يتوافر فيه عدد من الخصائص والسلوكيات ، حتى يخرج بحثه على الصورة المرجوة التي تثري المعرفة الإنسانية ، وتضيف إليها الجديد والمفيد:

١- غزارة العلم ، وسعة المعرفة ، والخبرة الواسعة بالميدان الذي يبحث فيه حتى يمكنه استخراج ما هو محتاج إليه من بطون المراجع ، والموسوعات العلمية ، وأن يقرأ كل ما يتصل ببحثه من مؤلفات ، قديمها وحديثها ، وأن يحس فهم ما يقرأ ، ويدرسه دراسة فاحصة متأنية حتى لا يقع في الخطأ أو الوهم .

٢- ألا يأخذ ما يقرأ مما انتهى إليه غيره قضية مسلمة لا تقبل المراجعة مهما كانت شخصية هذا الباحث ، وليضع في اعتباره هذه الحقيقة: يعرف الرجال بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال .

٣- الموضوعية ، ومعنى هذا أن يكون جهد الباحث منصبّاً على الموضوع الذي يبحث فيه بصرف النظر عمن بحثوا في هذا الموضوع ، ويمكن أن يأخذ ما تبين له أنه حق مهما قيل في صاحب هذا الرأي من اتهامات ، وأن يرد ما رآه باطلاً ، ولو كان صاحبه معظماً في عيون الناس ، فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنَّى وجدها ، فلا أرد رأياً حسناً في القضية للزمخشري – مثلاً – لأنه معتزلي ، ولا رأيا وجيها لنافع بن الأزرق ؛ لأنه من الخوارج ، بل أطلب الحق حيث وجد ، وللحق مقاييس معروفة في مقدمتها الموافقة لكتاب الله ، والسنة الصحيحة ، والعقل الصريح ، والواقع المحس ، ولا بد من اتزان الأسلوب ، فلا يكون إنشائياً مفعماً بالمشاعر، متأثراً بالعواطف ، يثير الشعور، ولا يقنع العقول ، بل لا بد من الأناة والروية والتعقل والحيدة التامة .

٤- النزاهة ، وتعني البعد عن الهوى والتعصب في عرض الآراء ومناقشتها ، والبعد عن التحامل ، فيعرض رأي الغير وفكره كما يعرض آراءه الشخصية .

٥- الأمانة العلمية ، وتتطلب من الباحث الدقة في النقل ، وعدم التسامح في لفظ أو عبارة ، أو حرف واحد مما ينقل ، وذلك إذا كان الأمر في مجال الاستشهاد بنص معين ، أما إذا كان المراد مجرد عرض

رأي أو فكر علم من الأعلام فلا يلزم النقل النصي ، ويشير فقط إلى المصدر الذي عرف منه الباحث هذا الرأي .

٦- احترام رأي الآخرين ، فليس من حق الباحث أن يهون من رأي غيره ، ولكن له أن ينقده بالدليل والبرهان في غير تجريح ، ولا اتهام .

٧- الاهتمام بتوثيق النقل ، بذكر المصادر وافية البيانات .

٨- إذا أراد الباحث الترجمة للأعلام الذين يرد ذكرهم في بحثه ، فليكن ذلك بإيجاز مفيد ، وليكن مقصوراً على غير المشهورين منهم ، الذي يحتاج القارئ المتوسط التعرف عليهم .

٩- الاهتمام بالفهرسة .

١٠- لا بد للباحث أن يكون متمتعاً بالراحة الجسمية ، بعيداً عن التوتر والآلام النفسية ، حاضر العقل والبديهة ، مهيئاً للتفكير السليم .

كيفية استخدام المصادر والمراجع في البحث :

ملاحظات عامة عند استخدام المصادر والمراجع في هوامش البحث :

عند استخدام أي مصدر أو مرجع في متن البحث يجب وضع رقم في نهاية الكلام والإشارة إليه في الهامش ، وهناك طرق متعددة لتوثيق المعلومات من المصادر والمراجع وهي كالآتي :

١- استخدام هامش لمصدر يذكر لأول مرة في البحث :

مثلاً : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ /٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ج٥ ، ص٩٠ .

وبالنسبة للمرجع ، الحالة نفسها في سرد المعلومات نقول : الدوري ، عبد العزيز، العصر العباسي الأول ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ، ص١٠ .

واذا كان هناك جزء نذكره مثلاً ، ج٢، ص١٠ . وهكذا .

ملاحظة مهمة : عندما يذكر المصدر أو المرجع لأول مرة في البحث على الباحث ذكر المعلومات كاملة في الهامش وبالشكل الآتي :

– في المصدر: اللقب ، الكنية والاسم ، سنة الوفاة ، اسم الكتاب ، اسم المحقق ، رقم الطبعة ، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، الجزء ، الصفحة .

– وفي المرجع : اللقب أو الاسم الأخير، اسم الكتاب ، رقم الطبعة ، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، إن وجد الجزء ، الصفحة .

٢– استخدام هامش لمصدر أو مرجع يذكر لمرتين متتاليتين (يعني في هامش والهامش الذي بعده) :

في هذه الحالة نقول إن كان مصدراً مثلاً : المصدر نفسه ، ج ، ص٩٠.

وإن كان مرجعاً مثلاً : المرجع نفسه ، ص٢٠.

مع ملاحظة وضع رقم الجزء إن كان هناك أجزاء قبل رقم الصفحة .

ملحوظة : إن كان المرجع باللغة الانكليزية فيجب على الباحث استخدام مصطلح Ibid ، التي تعني في المكان نفسه ، (in the same Place) مع الاشارة لرقم الصفحة والجزء إن وجد .

٣– استخدام هامش لمصدر أو لمرجع لمرتين غير متتاليتين :

أحياناً يستخدم الباحث مصدر أو مرجع وبعد هامش أو هامشين أو بعد صفحات يستخدم ذلك المصدر وذلك المرجع عند ذلك يتحتم على الباحث ملاحظة الآتي :

أ– في حالة استخدام مصدر هناك طريقتان :

١– نذكر لقب المؤلف واسم كتابه والجزء والصفحة .

مثلاً : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ، ص١٥ .

٢– نذكر اسم المؤلف وكلمة (المصدر السابق) والجزء والصفحة .

مثلاً : الطبري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٥ .

لكن هناك ملاحظة جداً مهمة في استخدام الطريقة الثانية يجب أن لا نستخدمها إذا كان للمؤرخ أكثر من كتاب استخدمته في بحثك ، يعني للطبري أكثر من كتاب استخدمته فعند ذلك لا يصح استخدام هذه الطريقة وعند ذلك تلجأ إلى الطريقة الاولى في تثبيت المصدر والإشارة للجزء والصفحة .

أ- وفي حالة استخدام مرجع هناك طريقتان هما :

١- نذكر لقب صاحب المرجع أو الأسم الأخير واسم كتابه والجزء إن وجد والصفحة .

مثلاً : الدوري ، العصر العباسي المتأخر، ص٢٠ .

الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٢، ص٨٠ .

٢- نذكر لقب أو الأسم الأخير لصاحب المرجع وكلمة المرجع السابق ، والجزء إن وجد والصفحة.

مثلاً : الدوري ، المرجع السابق ، ص٢٠ .

الحسني ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٨٠ .

ملاحظة مهمة : لا يجوز استخدام المنهجية الثانية في حالة استخدامك لأكثر من كتاب لصاحب كتاب استخدمته في بحثك يعني يكون أن يكون للدوري أكثر من كتاب استخدمته في البحث لا يجوز أن تذكر الدوري ، المرجع السابق ، بل نذكر لقبه ، واسم كتابه والصفحة كما ذكرت ذلك في ملاحظة المصدر .

- وفي اللغة الانكليزية نستخدم مصطلح Op. cit, بدلاً من المصدر أو المرجع السابق ، ويعني بالإنكليزية ، (in the work cited) مثلاً : Roznthal, op. cit, p.55

ملاحظة مهمة عامة : عند ترتيب المرجع جاز لك أن تذكره مقلوباً يعني تقدم اللقب أو الأسم الأخير ويجوز لك أن تستخدمه كما هو بشرط أن تتبع منهجية واحدة في كل البحث مثلاً : الدوري ، الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص١٥ .

أو عبد العزيز الدوري ، الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص١٥ .

ملاحظة : في حالة وجود أكثر من مؤلف لصاحب الكتاب (يعني ألف الكتاب أكثر من شخص) نلاحظ الآتي :

١- إذا اشترك في تأليف الكتاب مؤلفان أو ثلاثة تذكر جميع الأسماء ، مثل حسن ابراهيم حسن وجمال السرور وأحمد ابراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في المشرق ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص١٠ .

أو تأخذ على اللقب أو الأسم الأخير لكل واحد من المؤلفين .

٢- إذا اشترك في تأليف الكتاب أكثر من ثلاثة مؤلفين نذكر اسم الأول منهم أو من اشتهرت صلة الكتاب به أكثر من غيره ثم تضاف كلمة وآخرون بعد هذا الاسم .

مثل : خليل ابراهيم السامرائي وآخرون ، تاريخ الأندلس ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص١١٥ .

السامرائي ، خليل ابراهيم أحمد وآخرون ، تاريخ الأندلس ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص١١٥ .

٤- استخدام هامش لمخطوط غير منشور :

نذكر عند استخدام مخطوط غير منشور (أي مخطوطة لم تحقق) اسم المؤلف بالطريقة التي نذكر بها المصدر أي اسم المؤلف وعنوان المخطوط وتاريخ المخطوط - إن وجد- اسم الارشيف أو المكتبة التي يوجد فيها المخطوط ثم البلد أو الاقليم والرقم والورقة أو الصفحة التي استخدمها الباحث .

ملاحظة : إذا استخدمت نسخة مصورة بحوزة شخص آخر يذكر اسمه مثل : الخشني ، محمد بن حارث (٣٣٨هـ/٨٥٢م) ، طبقات المحدثين ، مخطوط مكتبة القصر الملكي ، الرباط ، رقم ٥٦١٢ ، نسخة مصورة بالأوفست بحوزة عبد الواحد ذنون طه ، الورقة ٥٧ أ .

٥- استخدام هامش مشار فيه إلى بحث في مجلة أو مقالة في جريدة :

عند استخدام معلومات من مجلة علمية أو جريدة يومية يكون الهامش بالترتيب الآتي :

نذكر اسم المؤلف كاملاً ثم عنوان البحث أو المقالة – بين مزدوجين – وبعد ذلك اسم المجلة أو الجريدة ورقم العدد والمجلد ثم مكان النشر وتاريخ النشر (تذكر اليوم والشهر والسنة بالنسبة للجريدة) ثم رقم الصفحة .

مثال استخدام بحث من مجلة : الملاح ، هاشم يحيى ((أضواء على دور الأنصار في عصر النبي (ﷺ))) ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد٢ ، المجلد ١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص٣٢ .

مثال استخدام مقال في جريدة يومية : حميدي ، جعفر عباس ، الحركة الوطنية في العراق ١٩٣٣-١٩٣٩ ، جريدة الجمهورية ، العدد ١٧٤ ، ١٥تموز ١٩٨٨ ، ص١٠ .

٦- استخدام هامش مشار فيه إلى فقرة منقولة من كتاب آخر غير موجود :

في هذه الحالة نشير إلى المصدر المفقود وتقول نقلاً عن : المصدر أو المرجع الذي أخذ منه المعلومة .

مثال ذلك : الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر (٢٠٧هـ/٨٣٧م) ، المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ج١ ، ص١٥، نقلاً عن : حسن ، حسن ابراهيم ، التاريخ الإسلامي العام ، ط٥ ، مطبعة الترقي ، القاهرة ، مصر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ج٢ ، ص٩٩ .

٧- استخدام هامش يشار فيه إلى وثائق حكومية :

تعد النصوص الحكومية وثائق رسمية ؛ لأنها تعبر عن السياسة التي تسير عليها الدولة ويرتب الهامش بالشكل الآتي :

يكتب اسم الدولة ثم الوزارة أو الجهة التي قامت بنشر الدولة وعنوان الدراسة ثم اسم المكان ومكان وتاريخ النشر ثم الصفحة المقتبس منها .

مثال ذلك : الجمهورية العراقية ، وزارة الخارجية ، اللجنة الاستشارية ، الاعتداءات الفارسية على الحدود الشرقية للوطن العربي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١، ص٢٠ .

٨- استخدام هامش يشار فيه إلى دراسة في كتاب تحمل اسماً آخر :

مثال ذلك : طه ، عبد الواحد ذنون ، قادة العصر الأموي ، بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح ، تأليف : نخبه من أساتذة التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ج٤ ، ص٤٤ .

٩- استخدام هامش يشار فيه إلى دراسات غير منشورة (رسائل وأطاريح) :

يذكر لقب واسم المؤلف ثم عنوان الدراسة ثم تحديد نوع الدراسة (رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه) ثم اسم الكلية والجامعة التي نوقشت فيها الدراسة ثم سنة المناقشة ثم الصفحة التي تم منها الاقتباس .

مثال ذلك : العدول ، جاسم محمد ، العراق في العهد الحميدي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥، ص٤٠ .

- اللهيبي ، محمود تركي فارس ، الأحوال الاجتماعية لصحابة النبي ﷺ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩، ص٥٥ .

١٠- استخدام هامش يشار فيه إلى احدى الموسوعات أو دوائر المعارف :

تكون الإحالة الى احدى الموسوعات أو دوائر المعارف بذكر اسم المؤلف كاملاً ثم اسم المادة المنقول عنها واسم الموسوعة أو دائرة المعارف والطبعة ودار ومكان وسنة النشر والجزء والصفحة .

مثال ذلك : العلي ، صالح أحمد ، "المغول" ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ج٣ ، ص١٢ .

وكذلك من الدوائر الاجنبية ، كدائرة المعارف البريطانية (Encyclopedia Britannica) ومصطلح (Encyclopedia) يعني دائرة المعارف .

مثال ذلك :

J . W . comyns "Blak william", Encyclopedia Britannica, 11th ed. 1990 , IV ,P, 40.

١١- استخدام هامش يشار فيه إلى مقابلة شخصية :

أحياناً يلجأ الباحث إلى اجراء بعض المقابلات الشخصية مع المسؤولين أو من لهم صلة بالأحداث التي يدرسها أو لهم المام بقضية تخص بحثه للاستفادة من آرائهم ويتم الاشارة إلى ذلك بذكر عبارة مقابلة شخصية أو حديث شخصي مع ذكر اسم الشخص ولقبه كاملاً وذكر وظيفة أو منصب الشخص والمكان الذي تمت فيه المقابلة وتاريخ اجراء المقابلة وإضافة عبارة أذن بالإشارة إليها بعد أخذ موافقة من تمت معه المقابلة بنشرها .

مثال ذلك : مقابلة شخصية مع الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي ، رئيس المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق ، ٢٥ حزيران ١٩٨٩ أذن بالإشارة إليها .

ملاحظات منهجية عامة ومهمة :

١- إذا ذكر اسم المؤلف في متن البحث فلا يذكر في الهامش بل يذكر عنوان الكتاب وباقي المعلومات مع ملاحظة وضع رقم الهامش على نهاية اسم المؤرخ أو المؤلف ويأخذ تسلسل الهامش حسب موضعه في المتن مثال ذلك : ذكر الطبري[١] أو أشار فاروق عمر فوزي[٢] وهكذا..... .

واذا ذكر اسم المؤرخ وعنوان كتابه في متن البحث فلا يعاد منهما شيء في الهامش .

فمن ذلك مثلاً : أشار الواقدي في كتابه المغازي[٣] .

---

(١)
(٢)
(٣)

٢- هناك قاعدة منهجية تقول: (لا يعرف المعرف) ، فليس من المعقول تعريف شيء متعارف عليه ومعروف مثل تعريف مدينة بغداد أو خليفة إسلامي وما إلى ذلك بل يتم تعريف الأماكن غير المعروفة والألفاظ التي لا يمكن فهم معناها .

٣- ضرورة الاشارة إلى تعريف الأماكن والألفاظ الغريبة والأشخاص في الهامش بإعطاء تعريف واضح ومختصر والإحالة إلى مصدر ذلك .

٤- الرجوع إلى المصادر والمراجع المختصة في كتابة البحث يعني ذلك تعريف مدينة نرجع إلى الكتب الجغرافية وعند توضيح لفظ لغوي نرجع إلى معاجم اللغة وعند تخريج حديث نرجع إلى كتب الحديث وعند تخريج بيت شعري إلى كتب الأدب والدواوين الشعرية وغير ذلك .

٥- ضرورة مراعاة وفاة المؤلف في الهامش فلا يجوز أن نقدم ونؤخر على مزاجنا ، أي نقدم الأقدم ، فعندما نستخدم الطبري وابن الأثير فلا يجوز أن نقدم ابن الأثير على الطبري بل نذكر الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ على ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ .

٦- عند استخدام أكثر من مصدر أو مرجع في هامش واحد يجب الفصل بينهما بفارزة منقوطة (؛) وعند نهاية الهامش توضع نقطة .

٧- عند البدء في المتن ببداية فقرة لا بد من ترك فراغ بمقدار كلمة .

٨- لابد أن يلاحظ الباحث في كتابة بحثه من ترابط الفقرات فيما بينها ؛ للحفاظ على وحدة الموضوع .

٩- على الباحث أن يفرق بين المصدر الذي هو مصدر ومنبع المعلومة وبين المرجع الذي اعتمد على المصدر في استقاء معلوماته .

١٠- لا يمكن للباحث ان يقدم المرجع على المصدر مهما كانت فائدته .

١١- الأفضل للباحث أن يستخدم الأرقام في الإشارة إلى الهوامش ويجوز له أن يعطي علامة اخرى لبعض التعريفات والايضاحات في البحث كأن يعطي علامة نجمة (*) وغيرها ، وإن كنا لا نحبذ ذلك في البحث ، الأحسن اعطاء ترقيم لكل هوامش البحث .

١٢- تقسيم البحث إلى مباحث وفي الرسائل والأطاريح إلى فصول كل فصل يتضمن مجموعة من المباحث .

١٣- لابد من وضع ترقيم لكل صفحة من صفحات البحث يعني أن تكون هوامش كل صفحة على حدة أي تبدأ كل صفحة بترقيم جديد .

١٤- على الباحث أن لا يدع هوامش كل صفحة تعبر إلى الصفحة الاخرى .

١٥- لا يكتب الباحث معلومات عائمة في بحثه دون اسنادها إلى مصادر ومراجع ؛ لأن ذلك يضعف جهده العلمي وإن استنتج أو حلل رواية ما أو رجح رأي عليه أن يسند ذلك بالدليل العلمي .

١٦- أن لا يتقيد الباحث بعدد معين لصفحات بحثه أو رسالته بقدر ما يكون همه المعلومات التي جاء بها في دراسته وأن يبتعد عن التكرار في المعلومات والإتيان بما هو جديد .

مراحل منهج البحث الأدبي

أولاً : اختيار الموضوع

يعد اختيار الموضوع في مقدمة الأمور التي يجب أن يضطلع بها الباحث عند قيامه بعملية البحث الأدبي ، فيجب أن يقدم الباحث في الدراسات العليا بحثاً أصيلاً علمياً ، لذا فاختيار الموضوع لأي باحث ليس بالأمر الهين فيحتاج إلى جهود كبيرة وقراءة متأنية في المصادر التاريخية للموضوع ، والوصول إلى موضوع يصلح للدراسة ، لذا فان بحوث طلبة الدراسات العليا تتسم بميزات أبرزها :

أ- أطول وأكبر حجماً والمادة التي تتضمنها .

ب- تتميز بالجدية والأصالة والابتكار.

ونتيجة للميزات السابقة يكون البحث مؤهلاً للحصول على الشهادة العلمية وتقع مسؤولية اختيار الموضوع على عاتق الباحث وحده الذي يجب أن يقرأ ويطالع الكثير من المصادر التي لها علاقة بالموضوع .

ويجب الحذر من لجوء الباحثين إلى الأساتذة لاختيار موضوع البحث ؛ لأن الأساتذة قد يعطوا موضوعاً لا ينسجم مع رغبة وطموح الباحث ويؤدي ذلك إلى تعثره وتأخره ومحاولاته المتكررة لتغيير الموضوع .

ومن أهم شروط اختيار الموضوع :

١- رغبة الطالب فيه

٢- الجدة في الموضوع

٣- أهميته

٤- حصر وضيق ميدانه

٥- وفرة المادة ومصادر البحث ومراجعه

٦- القدرة على معالجته

٧- المام الطالب بالعلوم المساعدة

٨- التزام الباحث بالزمن المحدد لإنجاز بحثه

٩- التجرد وعدم التحيز

١٠- تحديد الموضوع زماناً ومكاناً .

ثانياً : خطة البحث

بعد أن يتم الباحث اختيار عنوان مناسب لموضوع دراسته يجب التفكير في وضع خطة أو هيكل عام مؤقت للبحث يتوخى فيه الترتيب المنطقي المتسلسل والوحدة في الموضوع .

وتختلف المواضيع عادة في الخطة المقترحة وذلك تبعاً لطبيعة المادة وحجم البحث والمدة المقررة لدراسته وغيرها ، ومما تجدر الإشارة إليه أنه يمكن للطالب أن ينتفع بجهود من سبقوه لا سيما أولئك الذين كتبوا رسائل وأطاريح علمية ناجحة تماثل موضوع دراسته وضمن اختصاصه العام .

* أبرز ركائز ومحاور الخطة :

لابد أن تحتوي الخطة على :

١- العنوان : الذي يجب أن يكون مختصراً وواضحاً ومنبثقاً من الموضوع ذاته .

٢- المقدمة : التي تشير إلى أهمية الموضوع ومبررات اختياره ووصف البحوث التي اعتمدها الباحث بالدرجة الاولى .

٣- متن البحث : الذي يحتوي على أبواب وفصول بالنسبة للرسائل والأطاريح كبيرة الحجم ، أما الأقل حجماً فتقسم إلى فصول .

٤- الخاتمة : في آخر البحث حيث يجمل فيها الأفكار والنتائج ولا يجوز أن تعد الخطة ارتجالاً دون أساس مقبول بل يجب أن تكون مدروسة وبعد قراءة متأنية في المصادر والمراجع ولابد من عرض الخطة على الأستاذ المشرف لإبداء رأيه ومناقشتها وتدارك الأخطاء فيها وتوجيه الباحث التوجيه الصحيح .

هل أن خطة البحث ثابتة أم متغيرة ؟ .

نقول أن خطة البحث تكون مؤقته وغير ثابتة وهي عرضة للتغيير والزيادة والحذف والتقديم والتأخير حسب الظروف والمادة التي يحصل عليها الباحث في أثناء جمع المعلومات .

ثالثاً : جمع الأصول (جمع مادة البحث)

لابد من الرجوع إلى المصادر والمراجع لجمع المادة التاريخية اللازمة لكتابة البحث ويطلق على هذه العملية اسم جمع الأصول ، وتقسم هذه الأصول إلى قسمين هما :

أ- الأصول أو المصادر المدونة .

ب- المصادر المادية : أي المخلفات الأثرية من نقوش وآثار قديمة وجدناها من الماضي كالأهرامات في مصر والأبراج في العراق وأنواع الفنون والصناعات الفخارية والمنحوتات والنقود على مر العصور ، وتضمنت المصادر المدونة صنفين أساسيين هما :

١- المصادر الأولية :

وتضم الكتب القديمة التي دونها المؤرخون القدماء الذين كانوا حديثو عهد بالأحداث التي كتبوا عنها وهي تشمل أيضاً الوثائق الخاصة بأحداث التاريخ الحديث والمذكرات الشخصية التي كان مؤلفوها شهود عيان عن الوقائع التي عاصروها في الحقب الحديثة التي عاشوا فيها .

٢- المراجع الثانوية :

وهي تضم المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفون معاصرون عن موضوعات قديمة وهي تعتمد في معلوماتها على المصادر الأولية .

وينبغي هنا الإشارة إلى الفرق بين المصادر والمراجع ، فالمراجع الحديثة أو الثانوية مؤلفات حديثة أُلفت لعامة القراء لتكون أنسب ما يرجعون اليه للعلم بالشيء أو العلم بعدة اشياء والمفروض أن مؤلفيها رجعوا إلى المصادر الأولية عند جمع مادتهم وتأليفها وهي أُلفت للقراء أولاً أما المصادر فهي للمؤلفين أولاً والمراجع لعامة طالبي المعرفة أما المتخصصون فيذهبون إلى ما هو أبعد منها إلى المصدر أو المنبع للمعلومة .

ومهما تبلغ المراجع من القوة والأهمية فهي تضل ثانوية في عمل الباحث ويرجع إليها للإلمام بأوائل المعلومات أو للوقوف على وجهة نظر أو رأي خاص أدلى به المؤلف الحديث أو الإطلاع على خبر روي في مصدر قديم لم يتيسر للباحث الحصول عليه .

ان عملية البحث عن الأصول بموضوع معين هي من الأهمية بمكان وعلى الباحث أن يتتبع ما كتب عن موضوعه في مختلف المؤلفات التي تحدثت عنه .

وتعد فهارس المكتبات هي المفتاح الرئيس للحصول على المصادر والمراجع التي يحتاجها الباحث وتوجد عدة أقسام وأنواع من الفهارس منها :

١- فهرس خاص بعناوين الكتب .

٢- فهرس خاص بعناوين الموضوعات .

٣- فهرس خاص بأسماء المؤلفين .

وكل مؤلف في المكتبة يحمل نفس الرقم سواء تم البحث عنه تحت العنوان أو الموضوع أو اسم المؤلف وتكون الكتب التي تعالج موضوعاً معيناً في مكان واحد من رفوف المكتبة وذلك لتمكين الباحث من اختيار ما يريد وبأسرع وقت ممكن فإذا عثر الباحث على رقم أحد الكتب في موضوع بحث فسيجد على الرف الذي فيه الكتاب كتباً أخرى تخص الموضوع .

طرق جمع المعلومات :

يعمد الباحث إلى نقل المعلومات الخاصة ببحوثهم على دفتر واحد أو دفاتر متعددة ينسق فيها المادة المنقولة كأن يكتب على وجه واحد من الصفحة ويترك هامشاً واسعاً يستعمل لإضافة ما يستجد من مادة أو من تعديل على الخطة غير أن هذه الطريقة ستؤدي إلى توزيع المعلومات الخاصة بالبحث وبعثرتها بحيث يصبح من الصعوبة بمكان الاهتداء إلى الموضوعات التي تخص الفصول المختلفة للبحث الأمر الذي يؤدي إلى ضياع بعض المعلومات الثمينة واستنزاف وقت وجهد الباحث ولهذا تعد هذه الطريقة أسوء جميع الطرق المستخدمة في نقل المعلومات من المصادر.

فالباحث الذي يستخدم هذه الطريقة لا تكون لديه في البداية فكرة عن الترتيب النهائي لموضوعه المرتقب ، لذلك ليس في وسعه أن يقرأ ثم يدون المعلومات ضمن نموذج أو مثال أُعد مسبقاً وتكون

النتيجة حشر مجموعة عديدة من المعلومات في صفحة واحدة من مختلف المصادر والمراجع وعندما يحين وقت نقل هذه المعلومات من الدفتر إلى المسودة يجد الباحث نفسه مضطراً لتقليب صفحات دفتره ولعدة مرات لإيجاد ما يرغب نقله و بذلك يصبح احتمال ضياع المواد أمراً وارداً جداً اضافة لما يسببه من ارباك وعدم دقة في عمل الباحث .

ونتيجة للمساوئ التي تنجم عن استخدام طريقة الدفتر في جمع وتدوين المعلومات فلا ينصح الباحث بها بل أن هناك نظامان آخران يمكن استخدامهما ؛ لأنهما يوفران التنظيم والدقة في العمل واختصار الزمن وهما :

١- نظام البطاقات أو الجذاذات :

وهي عبارة عن أوراق سميكة تصنع غالباً من الورق المقوى وبأحجام مختلفة والحجم المتوسط منها هو الأفضل ، ويفضل أن تكون متساوية الحجم ليسهل ربطها وحفظها .

ويدون في كل بطاقة عنوان رئيسي أو فرعي لكل اقتباس من العناوين الموجودة في خطة البحث المبدئية ليدل على ما ورد فيها من معلومات ويكتب في الوسط الفكرة أو المعلومة التي يرد الباحث اقتباسها كذلك يكتب في البطاقة اسم المؤلف مع اسم المصدر أو المرجع والجزء والصفحة دون ذكر معلومات النشر ؛ لأن هذه وضعت في بطاقة خاصة لوحدها ويكون ذلك في أعلى البطاقة أو أسفلها ولا يدون في كل بطاقة إلا اقتباس واحد كذلك لا يستخدم منها إلا وجه واحد فقط .

وهذه الطريقة تحتاج إلى انتباه ودقة خوفاً من التصحيف والوقوع في الخطأ ولا يجوز الإسراف في الاقتباس حتى يبقى الباحث محافظاً على شخصيته ، ومن المستحسن ألا يتجاوز الاقتباس بضعة أسطر وعندما يترك الباحث بضعة كلمات أو جمل يجب وضع علامة (...) أي نقاط ثلاث تبين بأن بعض الكلمات وردت في المصدر أو المرجع وقد حذفها الباحث عمداً .

ويمكن للباحث أن يختصر بالفكرة الأصلية التي ينقلها إلى البطاقة بشرط أن لا يخل بالمعنى ويحتفظ بالفكرة التي أرادها مؤلف المصدر أو المرجع .

٢- نظام الملف أو الاضبارة :

الملف : عبارة عن غلاف من الورق المقوى مع كعب يتفاوت عرضه بتفاوت حجم الملف وفي هذا الكعب قابضان أو ماسكان تفتحان وتغلقان بسهولة وتستخدمان لتثبيت مجموعة من الأوراق المثقوبة التي توضع فيهما ومن الممكن استخدام أوراق اضافية في أي وقت .

يقوم نظام العمل بموجب استخدام هذا الملف على تقسيمه إلى أقسام وفق خطة البحث التي وضعها الطالب لموضوعه ، فيخصص لكل جزء من الخطة جزءاً من الأوراق وتوضع ورقة سميكة لتفصل بين كل قسمين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من الباحثين من يفضلون طريقة الملف ويرون أنها افضل من نظام البطاقات للأسباب الآتية :

١- تكون السيطرة على موضوع البحث في الملف أكثر مما هو في البطاقات ؛ لأنه مجموع في مكان واحد .

٢- ان عملية توزيع المادة تتم في الملف في الوقت نفسه الذي يتم فيه جمعها أما في البطاقات فهي تجمع أولاً ثم توزع .

٣- الملف يحفظ ما فيه من أوراق أما البطاقات فقد يفقد بعضها .

٤- ان المراجعة والتحقق من المعلومات الموجودة في الملف أسهل وأسرع من المراجعة في البطاقات .

وعلى الرغم من هذه المميزات يبقى نظام البطاقات هو الأفضل ، وينصح به الباحثون ، وذلك للأسباب الآتية :

١- انها أكثر دقة وضبطاً من سواها .

٢- قابليتها للحركة تمكن الباحث من ترتيبها كما تشاء أو خلطها على أي وضع .

٣- يمكن تحريكها من مكان إلى آخر فيسهل جمع كل النصوص التي هي من نوع واحد ، واضافة الزيادات في داخل كل مجموعة .

٤- أسهل في التصنيف وأنفع لدى استعمال المعلومات .

رابعاً : نقد المصادر والمراجع (نقد الأصول)

بعد أن ينتهي الباحث من جمع الأصول من المصادر الأولية والمراجع الحديثة التي تخص بحثه ، ينبغي قبل أن يشرع في تدوين المعلومات عنها أن يتمعن للنظر في أصالة ما لديه منها ؛ لأنه لو ابتدأ العمل في استخراج المعلومات من أصل من الأصول التي عدها حقيقية ثم تبين له فيما بعد أنها ليست كذلك وأنها وضعت للمغالطة أو التضليل أو التزوير لضاع وقت الباحث ، لهذا وجب عليه أن يتأكد أولاً من أصالة الأصول ويثبت خلوها من كل دس أو تزوير ، ولكي يحقق الباحث في التاريخ هذه العملية يجب عليه اتباع طريقة البحث التاريخي التي تقوم على نقد الوثائق أو الأصول التاريخية .

لهذا على الباحث أن يقوم بعملية امتحان للأصول (المصادر والمراجع) المتوفرة بين يديه والتي تخص الحدث التاريخي الذي يدرسه وتتم عملية نقد المصادر والمراجع بعمليتين هما النقد الخارجي والنقد الباطني :

١- النقد الخارجي :

عملية مهمة يقوم بها الباحث من خلال معرفة المؤلف وشخصيته وعلاقته بالحوادث التي كتب عنها ومدى مشاهدته لتلك الحوادث بنفسه ومعرفة زمن التدوين وهل تم ذلك اثناء وقوع الحوادث أو بعدها بزمن يسير أو بعيد وأين تم ذلك التدوين في مكان وقوع الحادث أو في مكان بعيد عنه ؟ وبالإجابة عن كل هذه الأسئلة يكون الباحث قد أنهى مرحلة النقد الخارجي .

٢- النقد الداخلي (الباطني) :

يركز فيه الباحث على بيان ما قصده المؤلف من كلامه ثم معرفة صدقه في الرواية سواء أكان شاهد عيان أو ناقلاً عن غيره ، والنقد الداخلي في أصول البحث التاريخي على نوعين : نقد داخلي ايجابي ونقد داخلي سلبي ، فالإيجابي يفسر النص ويظهر معناه والسلبي يكشف الستار عن مآرب المؤلف وأهوائه ودرجة تدقيقه في الرواية .

العرض وكتابة الموضوع :

بعد أن ينتهي الباحث من جمع المادة العلمية التي تتعلق ببحثه من المصادر والمراجع يقوم بعملية مراجعة المادة التي جمعها ؛ لأن من غير الممكن كتابة كل ما جمعه في بحثه .

وعملية الاختيار تتوقف على مقدرة الباحث وعلى نوعية المادة المتوفرة لديه فيأخذ بنظر الاعتبار فائدتها للموضوع وأهميتها وندرة المصادر التي وجدت فيها وعدم ذيوعها ، وعلى الباحث أن يقاوم الرغبة في عدم طرح بعض المادة المجموعة وميله إلى حشوها في البحث بسبب ما لاقى في سبيل الحصول عليها من عناء ؛ لأن حشر مأدة غير ضرورية في البحث سيؤثر حتماً على قيمته العلمية .

وعلى الباحث أن يعلم أن تخليه عن بعض المادة لن يذهب سدى فهي بلا شك ستنفعه في حياته العلمية في كتابة بحوث أخرى في المستقبل فضلاً عن استفادته منها بزيادة معلوماته عما قرأ من تفاصيل تخص مادة بحثه من قريب أو بعيد .

استخدام الاجتهاد والاستنتاج والتعليل :

يجد الباحث نفسه أمام بعض النقاط التي تسكت عنها المصادر التاريخية أو أنها تقدم معلومات لا تكفي أحياناً لتغطية الموضوع ، فتظهر لديه ثغرات في البحث لابد من سدها وملئ فراغها ، وفي هذه الحالة يجب أن يعمد إلى الاجتهاد والقياس والاستنتاج والتعليل ، أي يلجأ إلى استنتاج ما يمكن أن يكون

قد حدث بالإستناد إلى ما حدث فعلاً في ظروف مشابهة أو بالإستناد إلى قوانين طبيعية أو اجتماعية يستمدها من العلوم الأخرى .

ويمكن أن نقسم الاجتهاد الى نوعين هما :

١- الاجتهاد السلبي : امكانية الحكم بعدم وقوع الحادث لسكوت المصادر التاريخية عنه ، ولكن سكوت المصادر لا يدل بالضرورة على عدم الحادث ؛ لأن بعض الوثائق التاريخية قد تتعرض للضياع والتلف فتضيع معها حوادث التاريخ ومن غير المتيسر أن نسمع بكل الحقائق ، فضلاً عن عدم تدوين الكثير من المعلومات لا سيما المعلومات التي منع تدوينها من قبل السلطات الحكومية .

٢- الاجتهاد الايجابي : فهو استنتاج حكم في أمر قياساً على أمر آخر أشارت إليه المصادر التاريخية وثبت وقوعه لأن أحدها متعلق بالآخر أو لأنها معاً نتيجة لسبب واحد ، وينطبق هذا الاجتهاد على الحقائق التاريخية كافة .

ينبغي على الباحث أن يلاحظ أن الاجتهاد لا يؤدي دائماً إلى نتائج نهائية ثابتة ولكن إلى نتائج تقريبية يظل الشك حائماً حولها .

الأسلوب :

لابد لأي باحث من سلامة التعبير أثناء الكتابة ولا يعفى من هذه المسؤولية ، ويجدر بالباحث أن تكون لديه القدرة على حسن التعبير باللغة التي يكتب بها وأن يراعي قواعد اللغة ويتجنب الأخطاء اللغوية والإملائية ويلتزم بعلامات الوقف أو الترقيم وغيرها .

وللأسلوب الجيد مقومات أهمها :

١- دقة اختيار الألفاظ والمفردات .

٢- استعمال الجمل القصيرة الواضحة .

٣- ارتباط الفقرات .

٤- وحدة الأفكار .

٥- تماسك الفصول .

٦- عدم الاسراف في الاقتباس ؛ خوفاً من ضياع شخصية الباحث وأفكاره .

وقد يعمد بعض الباحثين إلى اختيار الألفاظ الصعبة والأساليب المعقدة ليثبتوا عمق تفكيرهم وقدرتهم على التعبير ، وهذا أمر مخل بأسلوب العرض التاريخي الذي يتوخى الدقة العلمية والاعتناء في اختيار الألفاظ التي تدل على المعنى المقصود بشكل مباشر .

أن مرحلة الكتابة في العمل التاريخي هي مرحلة أدبية فنية تتجلى فيها ملكة الباحث في حسن الأداء وروعة التعبير ونقل ما توصل إليه من نتائج .

الاقتباس :

هو تثبيت آراء الآخرين لمناقشتها أو لتعزيز رأي ما أو ايراد خبر مهم أو للاستشهاد بمن هو حجة في ميدان تخصصه ، ويجب على الباحث أن يتحرى المصادر الاصلية ذات العلاقة الوثيقة بموضوع البحث وأن يستخدم ما يقتبسه في انسجام تام مع ما قبله وما بعده من كلام حفاظاً على وحدة السياق كما لا يجوز الاكثار من الاقتباس بحيث يصبح البحث عبارة عن سلسلة طويلة في الاقتباسات ، ويستحسن أن تكون النصوص المقتبسة قصيرة ؛ لأنها يمكن أن تدرج في متن البحث ، والاقتباس نوعان هما :

١- الاقتباس الحرفي :

ويقوم الباحث بنقل كلام المصدر أو المرجع بنصه دون تغيير وفي هذه الحالة يجب وضع الاقتباس بين مزدوجين (( )) .

٢- الاقتباس غير الحرفي :

ويتضمن نقل فحوى النص العام أو معناه أو موجزه وعند ذلك لا تستخدم المزدوجين ولكن في كلا الحالتين الحرفي وغير الحرفي لابد من ترقيم الاقتباس وتدوين المصدر أو المرجع الذي تم منه الاقتباس ، أي وضع رقم مرتفع قليلاً عن السطر بين قوسين صغيرين .

الحاشية (الهامش) :

الحاشية أو الهامش : هو ما يخرج عن النص أو المتن إما شرحاً أو اشارة وتعليقاً سواء جعل في ذيل النص منفصلاً عنه بخط أو نهاية الفصل أو آخر البحث ، ويفضل وضع أو تثبيت الشروحات والإحالات والتعليقات في هامش كل صفحة من صفحات البحث .

وتستخدم الحواشي أو الهوامش للأغراض الآتية :

١- ذكر أسماء المصادر الأولية والمراجع الحديثة التي تم الاقتباس منها أو الإحالة إليها .

٢- المفاهيم والحقائق التي تؤخذ من أعمال أخرى .

٣- الأفكار المقتبسة التي كان لها أهمية أساسية في صياغة مفاهيم البحث .

٤- الاحالة على صفحات البحث نفسه منعاً من التكرار .

٥- شرح بعض المفردات أو العبارات أو تصحيح الأخطاء التي عثر عليها أثناء عملية الجمع .

٦- شرح توضيح خلفيات البحث وتساعد في تفهم أغراضه ، مثل التعريف ببعض الأعلام أو الأماكن أو الأحداث أو المفاهيم الفكرية والاجتماعية أو ايراد المقادير الحديثة المساوية لأوزان أو مقاييس كأن تقول الفرسخ يساوي ثلاثة أميال وهكذا .

وتتضح فائدة الهامش في تجنب ادخال أي شيء إلى المتن مما قد يؤثر على وحدته وتماسكه وسياقه ، وتقديم الأدلة والبراهين على ما يذكره الباحث من آراء وأفكار وطروحات ، ولكن يجب الحذر من الإغراق في استعمال الهوامش والمبالغة في استخدامها وإشغالها بالمصادر والمراجع .

تكتب الهوامش في أسفل الصفحة ويفصل بينها وبين المتن بخط يسمى خط الهامش ويكتب الهامش بخط أصغر من المتن في الطابعة وتستخدم في الإشارة إلى الهامش بالأرقام عادة ، وهناك من يقترح وضع بعض الإشارات كالنجمة مثلاً (*) في حالة ذكر ايضاحات لتفصيل مجمل ما ورد في المتن أو التحقيق موضوع أو نحو ذلك ، وإذا ورد إيضاح ثان في الصفحة ذاتها كانت له الإشارة بنجمتين (**) وهكذا ، لكن يفضل وينصح باستخدام الأرقام في الإحالات إلى الهوامش ؛ لأنها أسهل في عملية الطبع وأقل تعقيداً ولا تشغل حيزاً كبيراً .

البحوث الجامعية أقسامها أنواعها :

البحوث الجامعية أقسام وأنواع حسب المستوى والتخصص

أما من حيث المستوى فهي على قسمين:

أ- بحوث على مستوى المرحلة الجامعية الأولى "البكالوريوس" .

ب- بحوث على مستوى درجتي الماجستير والدكتوراه .

وليس من الصعب التمييز بين هذين القسمين .

البحث على مستوى المرحلة الجامعية الأولى "البكالوريوس" :

تقتضي طبيعة البحث على هذا المستوى تجميع المادة العلمية من مصادرها الأصلية والثانوية ، وإعادة صياغتها في أسلوب علمي واضح ، وبطريقة منهجية منظمة ، ليس من الضروري في مثل هذه البحوث أن يدون الطالب آراءه الخاصة ، أو انطباعاته الشخصية حول الفكرة الأساسية ، لأن المقصود من هذا في هذه المرحلة هو تدريب الطالب على منهجية البحث ، وممارسة المصادر، والقدرة على اختيار المادة العلمية المطلوبة والمناسبة ، ثم تنظيمها ، والتوفيق بينها ، وصياغتها في أسلوبه الخاص ، وأمثال هذه البحوث في حقيقتها لا تعدو أن تكون تقارير علمية .

البحث على مستوى الماجستير والدكتوراه :

محور الدراسة في مثل هذه البحوث موضوع معين ، ذو إطار محدود ، يجمع له الباحث ما أمكن من: دراسات ، وأفكار، وبيانات ، ومعلومات ، يتفحصها وينقدها بموازين النقد العلمي السليم ، ويضع فيها تحليلاته وتفسيراته ، وما يتوصل إليه من آراء ، مؤيداً كل هذا بالأدلة والبراهين والشواهد ، وأن يكون له موقف من القضايا المعروضة بعامة ، ومن موضوع البحث الأساسي بخاصة ، يكون لها أثر في مجال المعرفة ، "وفي حالة الدكتوراه بخاصة ينبغي أن يكون الموضوع شديد التحديد ، بعيداً عن الشمول والعموميات ، يكرس على الأصالة والتجديد ، فيختار الطالب موضوعاً دقيقاً ، ويعالجه معالجة تحليلية علمية" .

هذا النوع من البحوث هو الذي يتقدم بالبحث العلمي ، ويضيف الجديد من المعلومات والأفكار ، في ضوء هذا المستوى من البحوث تمنح الجامعات العريقة الدرجات العلمية العالية: الماجستير والدكتوراه ؛ حيث الأصالة والجدة شرط أساسي لمنحهما .

والبحوث الجامعية متنوعة تنوع التخصصات ، ومجالات المعرفة ؛ إلا أنها جميعاً تقع تحت واحد من الأنواع التالية :

أولاً: البحث الوصفي .

ثانياً: البحث التاريخي .

ثالثاً: البحث التطبيقي .

قد يجمع البحث الواحد بين نوعين فأكثر في آنٍ واحد ، حيث تستوجب الدراسة ذلك ، وسنقتصر الكلام عن البحث التاريخي قدر تعلق باختصاصنا :

أقسام البحث :

صفحة العنوان :

يجب أن تشتمل هذه الصفحة على عنوان البحث الكامل مع اسم الباحث والمرحلة والقسم والكلية التي ينتمي إليها ، وعادة هناك تعليمات تقرها الجامعة المعنية .

صفحة الإهداء :

يكتب فيها الباحث ما يشاء أن يهدي جهده العلمي وهذا ما اعتاد عليه الباحثون عند كتابة الرسائل والأطاريح .

صفحة الشكر والتقدير :

اعتاد الباحثون على شكر من يشرف عليهم وأساتذتهم والمكتبات التي استفاد منها ويجب أن يكون بسيطاً ليس فيه اسراف ويكرس للذين أسدوا مساعدة للباحث فعلاً ولا يستحسن الاطالة فيه أو المبالغة فيه فكلما كان مختصراً ومركزاً كان وقعه أكبر في النفس .

محتويات البحث : (ثبت المحتويات)

يلي صفحة الشكر والتقدير ثبت المحتويات أي محتويات الرسالة أو الاطروحة ويشمل على أجزاء البحث بما فيه من تمهيدات ، ويجب أن يراعى في المحتويات الأمور الآتية :

١- الترتيب المنطقي أو الزمني .

٢- تقسيم الموضوعات الى فصول ومباحث حسب حجم البحث .

٣- الاختصار والوضوح في عناوين الفصول .

٤- المحافظة على ذكر العناوين تماماً كما جاءت في سياق البحث .

٥- ترتيب الموضوعات بتسلسل استخدام الأرقام والأحرف الأبجدية عندما تتفرع أقسام البحث إلى موضوعات جزئية مختلفة .

المقدمة :

تعد المقدمة البوابة الرئيسة التي يدخل منها إلى صلب الموضوع البحث فهي المرآة التي تعكس نوايا الباحث وغايته في معالجة الموضوع ، ولهذا تحفز القارئ على الاستمرار في قراءة البحث أو تركه ، والباحث الجيد هو الذي يعد عناصر المقدمة منذ البداية ويجمع لها المادة اللازمة أثناء عمله في البحث في المصادر والمراجع .

ومن أهم الأمور التي يجب أن تتوفر في المقدمة هي :

١- تحديد الموضوع تحديداً زمنياً وجغرافياً بشكل موضوعي ومنطقي مع شرح أهميته والهدف منه والدافع على اختياره .

٢- القيام بدراسة تاريخية للموضوع الذي اختاره الباحث والإشارة إلى مكانه بين الأبحاث الأخرى السابقة.

٣- شرح منهج البحث والأسلوب المتبع لدراسة الموضوع أي تبيان الطريقة التي ستتم بها المواجهة ، هل هي تحليله أو وصفية أو غيرها من الطرائق الأخرى .

٤- الإشارة إلى بعض العناصر التي شجعت على كتابة البحث كتوفر وثائق جديدة أو اكتشاف مخطوط ساعد على بلورة الموضوع وقدم حقائق لم تكن معروفة سابقاً .

٥- التطرق إلى بعض الصعوبات التي جابهت الباحث والناتجة عن طبيعة الموضوع لا عن الظروف الخاصة أو المشاكل الشخصية أو العائلية ونحوها ، و يجب على الباحث هنا أن يتواضع ولا يحاول أن يكثر من ذكر الصعوبات أو يهول من أمر بحثه ليظهر بالتالي كيف أنه تمكن من انجازه وذلك كل العقبات التي جابهته وهو تمجيد غير محبذ للذات .

٦- تقديم شرح قصير لمخطط البحث يشمل الفصول التي يتضمنها حسب تسلسل الموجود فيه ، مع التركيز على النقاط الرئيسة التي تم التعرض لها في البحث وأظهر الترابط بين أجزائها .

تحليل المصادر والمراجع :

تعد هذه النقطة من النقاط الأساسية والمهمة جداً في المقدمة ولا يجوز أن تخلو منها البحوث العلمية الرصينة وتصنف المصادر أثناء تحليلها حسب أهميتها من جهة وحسب قدم وفاة مؤلفيها من جهة ثانية ، وتأتي الوثائق غير المنشورة والمخطوطات في طليعة هذه المصادر .

ومن المستحسن تقسيم المصادر المراد تحليلها حسب حقل المعرفة الذي تنتمي إليه مثل كتب التاريخ العام ، وكتب الطبقات وكتب الجغرافية والرحالة ، وكتب التراجم والكتب الفقهية ، أو الكتب الأدبية وغيرها .

وعلى الباحث أن يهتم بعملية تحليل المصادر والمراجع منذ قيامه بجمع المعلومات فيدون ملاحظاته الخاصة على كل مصدر ومرجع ومدى الاستفادة منه ، ويشير إلى التناقضات الموجودة فيه وينقد رواته ويبين مدى امكانية الاعتماد على نقاط الضعف والقوة فيهم بالنسبة لموضوع بحثه ، ويشير أثناء التحليل أيضاً إلى نزاهة المؤلف أو تحيزه وقابليته على الاطلاع على الأحداث .

ولا يقتصر التحليل في المقدمة على المصادر الأولية حسب ، بل يمكن أن تخضع المراجع الحديثة أيضاً لهذا التحليل ، فيتناول الباحث أهم المراجع التي تطرقت الى موضوع بحثه ويشير إلى الطريقة التي عالج بها هذا المؤلف أو ذاك الموضوع ، وما مزايا هذه الطريقة أو كوامن الخلل فيها ولا يتردد في الاشارة بما استفاده من بعض هذه المراجع من معلومات إن رأى لها دور في إنارة الطريق أمامه إلى مزيد من البحث والتدقيق .

متن البحث : (هيكل البحث)

يمثل هذا القسم من البحث متن الموضوع الرئيس ، بل هو جوهره ، ولا يوجد حجم معين أو هيكلية معينة لهذا القسم ، فكل بحث هيكلية مناسبة فهناك أبحاث تتألف من أبواب وفصول وأخرى تتألف من

فصول فقط ، وذلك حسب طبيعة البحث وحجمه ، ومما تجدر الإشارة إليه ضرورة التناسب بين أجزاء البحث ولا يعني هذا أن تكون جميع الاقسام أو الفصول متساوية الحجم تماماً وإنما المقصود أن يكون هناك نوع من التنسيق بين الجميع ، فلا يستحسن أن يكون الفارق كبيراً بين فصول البحث .

أما عدد صفحات البحث فغير محدد وبطبيعة الحال تختلف البحوث من حيث الحجم تبعاً لطبيعتها فتصل بحوث الماجستير إلى نحو ٢٠٠ صفحة أما الدكتوراه فتكون عادة أكثر، ويجب أن نعلم أن قيمة البحث لا تتوقف على حجمة وعدد صفحاته بل على منهجيته وموضوعيته والأمور الجديدة التي كشف عنها .

الخاتمة :

تتميز الخاتمة عن بقية أجزاء البحث كله بأنها تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، وهي ضرورية في البحوث ويستحسن أن تثبت على شكل نقاط محددة ، ومما يلاحظ الخلط من قبل بعض الباحثين بين الخاتمة والخلاصة ، فالخلاصة هي عبارة عن تلخيص حرفي للبحث ويستعمل لأغراض غير الخاتمة كان يرسل للمجلات أو مراكز جمع الرسائل للتعريف بالبحوث التي تجمع بها .

والخاتمة مرتبطة إلى حد ما بالمقدمة ، حيث يحاول الباحث أن يجيب فيها على بعض الأسئلة التي طرحها في المقدمة ، ولا يمكن أن تكون الخاتمة تكراراً لما جاء في المتن بل يجب أن تتضمن أموراً جديدة أو آراء شخصية لم يجد لها الباحث مكاناً مناسباً في فصول البحث أو هيكله ، ويستحسن أن يذكر فيها إضافة إلى النتائج المستخلصة أهم النقاط التي لم يتمكن الباحث من دراستها دراسة كافية فيفتح بذلك آفاقاً جديدة لمن يأتي بعده من الباحثين ، ومن المفضل عدم الإسهاب فيها وأن تكون مركزة وواضحة .

الملاحق :

يصادف الباحث في بعض الأحيان العثور على بعض المواد التي لها صلة بالموضوع الذي يبحث فيه ، لكنها ليست ضرورية لتضمينها في متن البحث لتحاشي الاستطراد وقطع انسجام الموضوع وتسلسله

فيلجأ حينذاك إلى وضعها في نهاية البحث ، واعتبارها ملحقاً له وإذا كان هناك أكثر من ملحق تعطى أرقاماً مسلسلة (ملحق رقم (١) ، ملحق رقم (٢) وهكذا) .

أما المكان الذي توضع فيه الملاحق فهناك خلاف في ذلك إلا أن الراجح والصحيح أن توضع بعد متن الرسالة أو الأطروحة مباشرة أي بعد الخاتمة وقبل المصادر والمراجع لا بعدها للأسباب الآتية :

١- لأن الصلة العلمية بينها وبين البحث واضحة جداً .

٢- ان المصادر والمراجع قد تشير إلى الموارد التي أخذت منها تلك الملاحق والوثائق .